٢١٩
ش ٠ ق الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف القاضي
عياض ، عياض بن موسى - ٥٤٤هـ ٠ بخط
حسن بن علي بن حبيب اللطفي سنة ١١٨٤هـ

١٤٤ ق ٢٥ س ١٥x٢١ سم
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، طبع
٥٧٠٨ تنقص بعد الورقة الاولى ٠
الظاهرية (التاريخ) ٢: ٣١٩ كشف
الظنون ٢: ١٠٥٢

١ - السيرة النبوية أ - المؤلف
ب - الناسخ جـ - تاريخ النسخ ٠



بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

اخبرنا الشيخ الفقيه الامام الورع الاديب الفاضل ابو
عبد الله محمد بن احمد بن جُبَيْن الكناني بقراءتي عليه وقراءة
عليه وانا اسمع في الحادي والعشرين لجمادى الاخرة سنة
ثلاث عشرة وستمائة بثغر اسكندرية قال اخبرنا الشيخ الفقيه
القاضي الامام الحسيب ذو السن العالية ابو عبد الله محمد بن
ابي محمد عبد الله ابن الفقيه القاضي الامام العالم ابي عبد الله محمد
بن عيسى التميمي اجازة قال اخبرنا القاضي الفقيه الامام العالم
الاوحد الحافظ الفاضل الاديب علم الحفاظ ابو الفضل عياض
اليحصبي رضي الله تعالى عنه سماعا قال الحمد لله المنفرد
باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرتمى. الظاهر لا تخيلا ووهما. والباطن تقدسا لا
عدما. وسع كل شيء رحمة وعلما. واسبغ على اوليائه نعما عُمّا.
وبعث فيهم رسولا من انفسهم عربا وعجما. وازكاهم
محتدا ومنمى. وارجحهم عقلا وحلما. واوفرهم علما وفهما
واقواهم يقينا وعزما. واشدهم بهم رأفة ورحما زكاه روحا
وجسما وحاشاه عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا

وقلوبا

سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث قيل وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر رض ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى
ولا افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رض انا كنا اذا
حمي الباس ويروى اذا اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه صلى
الله عليه وسلم ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو اقربنا الى العدو وكان صلى الله عليه وسلم من اشد الناس
يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه
وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس رض كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس ولقد فزع اهل المدينة
ليلة فانطلق ناس الى الصوت فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعا
قد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لابي طلحة رض عري
والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رض
ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه
ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل
يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا سبيله وتناول الحربة من الحرث
ابن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر
عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم
فطعنه في عنقه طعنة تدادا منها عن فرسه مرارا وقيل بل
كسر النبي صلى الله عليه وسلم ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول

انقياد الصحابة رض بعم
حديث انس
قتله عليه الصلاة والسلام بعض احد
ابي بن خلف

قتلني محمد وهم يقولون لا بأس عليك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم
أليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في
قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه
الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء
التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد
الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي
النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا عبد الله
حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى بن مالك عن ابي سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها
وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف
البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن
عائشة رض كان صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم
يقول ما بال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون
او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى انس رض انه دخل رجل
عليه به اثر صفرة فلم يقل له شيا وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها
وقالت عائشة رض في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله
ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رض وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني عما
اضطره الكلام اليه مما يكره قالت عائشة رض ما رايت فرج رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وحسن
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة قال علي رض في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع
الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة
حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقراته على غيره حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام بن مروان ومحمد بن المثنى حدثنا ابو الوليد بن مسلم
حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن
ابن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد رض قال زارنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطا عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله اركب
فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه
يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن ساله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وانشراحه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مداح متغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه
وقال الله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويثيب عليها
وقال انس رض خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال
لي اف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وعن عائشة رضها كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه واهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله
رض ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني
الا تبسم وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه رض ويخالطهم ويحادثهم
ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة
والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال انس رض
ما التقم احد اذن النبي صلى الله عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل
هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده صلى الله عليه وسلم فيرسل يده حتى
يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من
لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره
بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه
ويدعو اصحابه باحب اسمائهم اليهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وساله عن حاجته
فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل
عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحرث رض ما رايت احدا
اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس رض كان خدم المدينة يأتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما ياتي بآنية
الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون بذلك التبرك
صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون **فصل** واما
الشفقة والرحمة والرافة لجميع الخلق فقد قال الله فيه صلى الله عليه وسلم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
وتعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكي عن الامام
ابي بكر بن فورك رحمه الله **حدثنا** الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا
ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب حدثنا يونس عن ابن شهاب قال
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية رض مائة من النعم
ثم مائة ثم مائة ثم مائة وقال ابن شهاب حدثنا سعيد بن
المسيب ان صفوان رض قال والله لقد اعطاني ما اعطاني
وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي
وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت
اليك قال لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان
كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال صلى الله
عليه وسلم هل احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك
شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي أكذلك فقال
نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل
هذا الرجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم
فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت
واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال



الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان
اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله عليه وسلم
على امته تخفيفه عنهم وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة
ان تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته
صلى الله عليه وسلم دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته صلى الله عليه وسلم
لربه عز وجل ان يجعل سبه ولعنته لهم رحمة بهم وانه صلى الله عليه وسلم
كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه
وسلم ان دعا ربه سبحانه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته
فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه اليك
بها يوم القيامة ولما كذبه صلى الله عليه وسلم قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال
لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما
شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم
بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك
به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله امر السماء والجبال والارض ان تطيعك فقال صلى الله عليه وسلم
اوخر عن امتي لعل الله سبحانه وتعالى ان يتوب عليهم قالت عائشة ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة انها
ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه عليه السلام في الوفاء بالعهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه حدثنا ابو بكر محمد
ابن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس اخبرنا ابن الاعرابي

حدثنا

هما جبلان بمكة
قيل هما القيقعان وابو
قبيس وعن ابن وهب هما
جبلان تحت العقبة

حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا
ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق
عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء رض بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان
آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا
هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث
انتظرك وعن انس رض كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة
انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رض قالت ما غرت على امرأة
ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح لها
ودخلت عليه صلى الله عليه وسلم امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما
خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من
الايمان ووصفه صلى الله عليه وسلم بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها
وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة بنته زينب رض يحملها على عاتقه
فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة وفد وفد للنجاشي
فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال
انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم ولما جيء
باخته الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه
وقال صلى الله عليه وسلم لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة
او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال
ابو الطفيل رض رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة
حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقالت من هذه

وانا غلام

قالوا امه التي ارضعته وعن عمر بن السايب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له
بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه
من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان صلى الله عليه وسلم يبعث
الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت
سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رض
انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا
انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوايب الحق **فصل** واما تواضعه على علو منصبه ورفعة
رتبته فكان اشد الناس تواضعا واعدمهم كبرا وحسبك
انه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله
قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول
من تنشق الارض عنه واول شافع **حدثنا** الوليد بن العواد الفقيه
بقراتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسماية حدثنا ابو علي
الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة
حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن
نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس عن ابي غالب عن ابي امامة
رض قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى فقمنا له
فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال صلى
الله عليه وسلم انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس وكان صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقرا ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم
حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر رض عنه صلى الله عليه

وسلم

وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وعن انس رض ان امراة كان في عقلها شي
جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي
طريق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال
انس رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة
العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
اكاف قال وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث
وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا
لا رياء فيها ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه صلى الله عليه وسلم الارض
واهدى في حجه مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طاطا صلى الله عليه وسلم على رحله راسه حتى كاد ان
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه
وسلم قوله لا تفضلوني على اخي يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبيا ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال صلى
الله عليه وسلم للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسياتي
الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شا الله تعالى وعن عايشة
والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله عليه وسلم وبعضهم
يزيد على بعض كان صلى الله عليه وسلم في بيته في مهنة اهله
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير وياكل مع
الخادم ويطحن معها ويحمل بضاعته من السوق وقال انس رض
ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث تشاء حتى تقضي حاجتها ودخل
عليه صلى الله عليه وسلم رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال
له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش
تاكل القديد وعن ابي هريرة قال دخلت السوق مع النبي صلى
الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر
القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم فجذب يده
وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل
منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء
احق بشيئه ان يحمله والله اعلم فصل واما عدله وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس و اعدل
الناس واعف الناس واصدقهم لهجة صلى الله عليه وسلم منذ كان
اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان صلى الله عليه وسلم قبل نبوته
الامين قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم يسمى الامين بما جمع الله
فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر
المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش عند
بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين
قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم رض كان يتحاكم الى النبي صلى
الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم
والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا
ابو يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا
معوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن
كعب عن علي رض ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك

ولكن

ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فيهم فانهم لا يكذبونك الآية
وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق
لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق
وما كذب محمد قط وسأل هرقل ابا سفيان رض فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان
محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم امانة
حتى اذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما
هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست يده قط يد امرأة لا يملك
رقها وفي حديث علي رض في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال
صلى الله عليه وسلم في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عائشة رض ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس عنه قال
ابو العباس المبرد قسم كسرى اياماه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره
ثلاثة اجزاء جزء لله سبحانه وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ
جزءه بينه وبين الناس فكان صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة على
العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فان من ابلغ
حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن
الحسن رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا
يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رض عنه صلى الله
عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني

اهل

الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى
ادخل مكة فاسمر كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار
من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر
فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت ولم اقض
شيا ثم عرا لي مرة اخرى مثل ذلك ثم لم يعد ذلك بسوء **فصل**
واما وقاره وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه صلى الله عليه وسلم
فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه حدثنا ابو العباس
الدلائي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو عبد الله الوراق حدثنا
اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج
ابن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في
مجلسه لا يكاد يخرج شيا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان
اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما
جلس القرفصا وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت ولا يتكلم
في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا
لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له
واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحيا وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا
تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي
صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي
الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا
وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي
محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل او ترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحدث

يحدث حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب
الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول
حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني
في الصلاة ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الشراب
والطعام والاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم
في الاخبار اثنا هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله منها
واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه
فتوحها ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في
نفقة عياله وهو يدعو اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا
سفيان بن العاص والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله
التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا ابو الحسين مسلم بن
الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا ابو معوية عن الاعمش
عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رض قالت ما شبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شا لاعطاه
الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت عائشة رض ما ترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي
حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها
صدقة قالت عائشة ولقد مات وما في بيتي شي ياكله ذو كبد
الا شطر شعير في رف لي وقال لي ان ربي عرض علي ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع

فاحمدك واثنى عليك وفى حديث اخر ان جبريل نزل عليه فقال له
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا
وتكون معك حيثما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال
له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وعن عائشة رض قالت
ان كنا آل محمد لنمكث الشهر ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن ابى عوف هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يشبع هو ولا اهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة وابى امامة
وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون العشاء وعن
انس قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا سكرجة ولا
خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عائشة انما كان
فراشه الذى ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه
فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتمونى الليلة فذكرنا
له ذلك فقال ردوه لحاله فان وطاته منعتنى الليلة صلاتى
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه وعن
عائشة قالت لم يمتلى جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم
يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنا وان كان
ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد
كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع
واقول نفسى لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول
يا عائشة ما لى وللدنيا اخوانى من اولى العزم من الرسل صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا الى ربهم فاكرم ما

مضوا

بهم

بهم واجزل ثوابهم فاجدنى استحى ان ترفهت فى معيشتى ان
يقصر لى غدا دونهم وما من شىء هو احب الى من اللحوق باخوانى
قالت فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم **فصل** واما
خوفه من ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة منى عليه حدثنا
ابو القسم الطرابلسى حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا ابو زيد المروزى
حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان
ابا هريرة كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت انى شجرة تعضد
روى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول ابى ذر
نفسه وهو اصح وفى حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية كان يصلى حتى ترم
قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة وابى
هريرة وقالت عايشة رض كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة
وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول
لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس
وابى سلمة وانس وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن
مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك
ثم توضا ثم قام يصلى فقمت معه فبدا فاستفتح البقرة
فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا
وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذى

الجبروت والملكوت والعظمة وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال
سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال
حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله
ابن الشخير رض اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
ولجوفه ازيز كازيز المرجل وقال ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم
متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله
عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي في سبعين
مرة وعن علي رض سألت رسول الله عن سنته فقال المعرفة
رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق
مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي
والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والزهد
خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من
كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن هي هذه الصفة لانها صفة كمال والكمال التام البشري الكمال خ
والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب
ودرجاتهم ارفع الدرج ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال الله ولقد اخترناهم
على علم على العالمين وقد قال عليه الصلاة والسلام ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على
صورة ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي خبر ابي

هريرة رأيت موسى فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال
شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان احمر كانما
خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه
ولد ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن
ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى
ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي
حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله
حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابراهيم الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا
وقال ان الله يبشرك الى الصالحين وقال اني عبد الله اتاني الكتاب
وجعلني نبيا الى ما دمت حيا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا
حييا ستيرا ما يرى من جسده شيئا استحيا الحديث وقال تعالى
فوهب لي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين
وقال ان خير من استأجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر
اولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا ونوحا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة
بالصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه
بغلام حليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال

في اسمعيل انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا
وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي داود
انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وقال
عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في
الخيرات الآية وقال سفيان هو الحزن الدائم في آي كثيرة ذكر فيها
من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك
في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي
ابن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا
تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك
لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا لله تعالى وكان يطعم
الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه يا راس
العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو
على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها
ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض
قال اخاف ان انسى الجائع وروى ابو هريرة رض عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال خفف على داود القرآن فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا
القرآن قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا
له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه
ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام
داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السما حياء من
ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بل بكى حتى نبت العشب
من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل
كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له
بيت ايما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال
له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين
كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله
عليه وسلم لقد كان الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
المنطق بسوء قال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من
خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل
بعريش وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب
كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في
هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجد في
بعض كتب جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد
اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال

الكمال العديمة واريناك صحته صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم
ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا
تكدره الدلا ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة
لجمعه من اوصافه وشمائله كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره
وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا
القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس
مائة حدثنا الامام ابو القسم عبد الله بن طاهر التميمي قرات عليه
اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ
الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن
ابن علي بن جعفر الوحشي قالوا حدثنا ابو القسم علي بن احمد بن الحسن
الخزاعي حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي انبانا ابو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الحافظ حدثنا سفين بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن
عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من
ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رض يكنى ابا عبد الله عن ابن
لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رض قال سالت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رح وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن
ابن احمد بن خذاذاذ الكرخي الباقلاني واجاز لنا الشيخ الاجل ابو
الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا اخبرنا ابو علي الحسن بن احمد بن
ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه
فاقر به قال انبانا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله
ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر
العلوي حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن

اخيه

اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سالت خالي هند بن ابي هالة عن
حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا
ان يصف لي شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما
مفخما يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب
عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره
شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه
من لم يتامله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد
ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر
يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سايل
الاطراف او قال سائن الاطراف او سائر الاطراف سبط العصب
خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا
ويخطو تكفوا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب
واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من
نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه
بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى
ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه

صفة منطقه عليه السلام

كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحة
اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا
ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيا قال الحسين سالت
ابي عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا
له في ذلك فكان اذا اوى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزء لله
وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزءه بينه وبين الناس فيرد
ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيا فكان من سيرته في
جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين
فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوايج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول
ليبلغ الشاهد منكم الغايب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فان من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم
القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان
ابن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني
فقها قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيه ويولفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي على احد بشره وخلقه و
يتفقد اصحابه ويسال الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح
القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا
لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من
الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم
مواساة وموازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى

عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويامر بذلك
ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه
او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من ساله حاجة لم
يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الاخرى صاروا عنده في الحق سوا مجلسه مجلس حلم وحيا وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا توبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير
الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى الله
عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دايم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عتاب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يويس منه قد ترك نفسه من ثلاث الريا و
الاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا
يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساوه
كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من
تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون
ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا
رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثنا الا من مكافئ
ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا
انتهى حديث سفين بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله
عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره
ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شي يستفزه وجمع له في الحذر اربع
اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الراى بما اصلح امته
والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف فصل في تفسير

غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اى البائن الطول فى نحافة
وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل
الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة
شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا
اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم
والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الاخر
ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى
السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن
اتصال شعر الحاجبين وضده ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج شديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين
وهو الذى فى بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج
فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم متماسك اى معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل
قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم
القصير الذقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان
صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان
بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل
سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظة
مسيح بالسين وبفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن
دريد والكراديس روس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل
المشاش والكتد والمشاش روس المناكب والكتد مجتمع الكتفين
وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاطراف او قال سائن

بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام بالنون ان صحت الرواية بهما واما
على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما
وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة
العطاء والجود خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدمين وهو
الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اى
املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة خلاف هذا
قال فيهما اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق
معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم اى انه لم
يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن
القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده
والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع
فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته
وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم
بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد
ذلك بالعامة على الخاصة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فتوصل عنه العامة ثم يجعل له الخاصة ثم يبدلها فى جزء واحد
بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا
ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على
ظاهره اى فى الغالب والاكثر والقنا والعدة والشئ الحاضر المعد
والموازرة المعاونة وقوله الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما و
وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره اى حبس
نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء
ولا تثنى فلتاته اى لا يتحدث بها او لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد
سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله لا يقبل

الثنا الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من
مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت اليه من النبي صلى الله عليه
وسلم عليه ويستغفره يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب
اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها ولله الحمد والمنة الباب
الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر
وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم
ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها
وحصرنا معاني ما وردنا منها في اثني عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر
مكانته عند ربه والاصطفا ورفع الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه
به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم حدثنا الشيخ
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه حدثنا ابو الحسين الفرغاني حدثتنا ام القاسم
بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى
الحماني حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله
اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل
فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا اتقى
ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا
فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم

اخبرنا خ

ومن

ومن حديث انس رض انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة رض عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب
افضل من بني هاشم وعن انس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري
به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله
ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني في
النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة الى الارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا
اشار العباس بن عبد المطلب بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة
ولا علق بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من
صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك
الافق فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق
وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر
ابن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من
امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية اخرى وعرضت علي امتي فلم
يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل الاسود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض
والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة
ونصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن
الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر

اذا مضى عالم ن

هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته وقال في
حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد
وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر
لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي
فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله
تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفي رواية اخرى فقال آدم لما خلقتني رفعت
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد
اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي
انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد
وقيل بابي البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها زيارة
كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله
لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا
انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولود
ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى جعفر
ابن محمد عن ابيه انه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نمى ورزقوا جيرانه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ضر
احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود ان الله نظر

الى

الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر
اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث **فصل** في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية
وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى
ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما
نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى
بعبده ليلا الآية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف
بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله
وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا
ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من
شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا
ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ
حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة
التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
بادم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا

ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير
قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا
انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا
انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما
احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض
ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسأله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى
ربي فقلت يا رب خفف على امتي فحط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون عن
ذلك فارجع الى ربك فسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى
وموسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له
عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى جود ثابت هذا الحديث عن انس ما شاء ولم
يأت احد باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما
من رواية شريك بن ابي نمير فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد

قال

16

قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى
ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة
من حديث الاسرا كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسرا الى
بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس
ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن
شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء
بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم
اخذ بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن
انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف
في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت
في حديث الاسرا زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث
ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا
ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج
بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رض ثم انطلق بي حتى
اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث
مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام
بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة فاممتهم فقال قايل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبداني بالسلام وفي حديث ابي هريرة
ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة فصلى مع الملايكة
فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله
خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم

ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان محمدا صلى
الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل
امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح
لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال
ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء
نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء
السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما
يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش
من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى تخرج من
اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر
لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين
عاما وان ورقة منها مظلة للخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو
قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم
خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما
والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن
والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت
موسى التوراة وعلمت عيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو
مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك
هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك
سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية

الاخرى

الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم
سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد
ما رأى الآيتين راى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى
موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك مما
لا يعلمه الا الله تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس رض
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عم فوكز
بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطير فقعد في واحدة وقعدت في
الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي
ونظرت جبريل كانه حلس لاطي فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب السماء
ورأيت النور الاعظم ولط دوني الحجاب فرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله
الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رض لما اراد الله تعالى ان يعلم
رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت
عليه فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك احد اكرم على الله عز وجل من محمد
صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينما هو كذلك
اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال
والذي بعثك بالحق نبيا اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته
منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من
وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا
انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد
محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي
بن الحسين رض راويه قد اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال
القاضي ابو الفضل رح ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في
حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء

فقمت خ

كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من ورائه من ملايكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي من ورائه ان هذا الملك ما رأيته قط منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او من مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسال القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه فصل ثم اختلف السلف والعلما هل كان اسراه بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طايفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا حق ووحي والى هذا ذهب معوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه ذهب محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عايشة ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عايشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة

عظيمة

١٨

عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرآء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا اليه قال هولا ولو كان الاسرآء بجسده الى زايد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المتمدح ثم اختلف هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي ابو الفضل والحق من هذا والصحيح ان شا الله انه اسرآء بالجسد والروح في القصة كلها وعليها تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرآء بجسده وفي حال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن في ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا ببيت المقدس في رواية انس او في السما على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبيا فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى عليهما السلام في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السما الى قوله ثم عرج

بى الى السما الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها
ما ذكره قال ابن عباس هى رويا عين راها النبى صلى الله عليه وسلم
لا رويا منام وعن الحسن فيه بينا انا نايم فى الحجر اذ جانى جبريل
فهمزنى بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيا فعدت الى مضجعى
ذكر ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى فجرنى الى باب
المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانى قالت ما اسرى
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة صلى العشا
الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشا
الاخرة كما رايت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم
صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين فى انه بجسمه وعن ابى بكر
من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به
طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حملنى
الى المسجد الاقصى وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
اسرى بى فى مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قايم معه انية
ثلاث وذكر الحديث وهذه النصوص ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على
ظاهرها وعن ابى ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتى وانا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدرى ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدى
فعرج بى وعن انس اتيت فانطلقوا بى الى زمزم فشرح عن صدرى
وعن ابى هريرة لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى عن مسراى فسالتنى
عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لى انظر اليه ونحوه
عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب فى حديث الاسرا عنه عليه السلام انه قال ثم
رجعت الى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل** فى ابطال حجج من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التى اريناك فسماها رويا

قلنا

قلنا قوله سبحان الذى اسرى بعبده يرده لانه لا يقال فى النوم اسرى وقوله فتنة للناس
يويد انها رويا عين واسرا بشخص اذ ليس فى الحلم فتنة ولا يكذب به احد
لان كل احد يرى فى منامه مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة
فى اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الاية فذهب بعضهم
الى انها نزلت فى قضية الحديبية وما وقع فى نفوس الناس من ذلك
وقيل غير ذلك واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث
اخر بين النايم واليقظان وقوله ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظت
فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نايم
واول حمله والاسرا به وهو نايم وليس فى الحديث انه كان نايما فى القصة
كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت واستيقظت من نوم اخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات
والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان
يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر
ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شى من المحسوسات عن الله ولا يصح
ان يكون هذا فى وقت صلاته بالانبيا ولعله كانت له فى هذا الاسرا حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النايم من الاضطجاع ويقويه قوله فى رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة عنه بينا انا
فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع وقوله فى الرواية الاخرى بين النايم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النايم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب
الواقعة فى هذا الحديث انما هى من رواية شريك عن انس فهى منكرة من

حديثه اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام
وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا باجماع كان بعد
المبعث فهذا كله يوهن ما وقع من رواية انس مع ان انسا قد بين من
غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مرة عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة
ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجه
ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان فان
الاسرا كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة
وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا
فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانى وغيره وايضا
فليس حديث عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها
النبي صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها
انه بجسمه لانكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها
مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فقد
جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله بعد ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف
الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راه
اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر
قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فانكرته عائشة حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقراتي عليه حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي
يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت
عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن ادم حدثنا وكيع

عن ابن

قول عائشة في الرؤية

عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المومنين هل
هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات
لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن
ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار
هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين وعن
ابن عباس انه راه بعينه وروى عطا عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه
راه بفواده مرتين وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يساله
هل راى محمد ربه فقال نعم والاشهر انه راه بعينه روي عنه ذلك من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه
نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد
فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال
ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى فكلم
موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي
صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفوادي ولم اره بعيني
وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي
وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى الحديث وذكر عبد الرزاق ان الحسن
كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى
بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سال ابا
هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا
اقول بحديث ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد

قول جماعة من المحدثين في امتناع رؤيته عز وجل في الدنيا

قول ابن عباس في الرؤية

قول الحسن في وقوع الرؤية لربه عليه السلام

عن الامام احمد بن حنبل

وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار
وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن
ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن
الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه
وعن ابن عطا في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر
موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري وجماعة من اصحابه انه رأى
الله ببصره وعيني راسه وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد
اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف
بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكن جايز ان يكون قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امترا فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا
جايزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سوال
موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل
لم يسال الا جايزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل
رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل
هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في
الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته
جايزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه
الابصار لاختلاف التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا
تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه
ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما

هو

هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث
تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت
اليك اي من سوالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض
السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل
الدنيا وقواهم وكونها معترضة للافات والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في
الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا
لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني واذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي
الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف
القوة فاذا قوى الله تعالى من شا من عباده واقدره على حمل اعبا الرؤية لم تمتنع
في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رايا والله اعلم وقد ذكر القاضي
ابو بكر في اثنا اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى راى الله فلذلك خر صعقا
وان الجبل راى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله تعالى له واستنبط ذلك والله اعلم
من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا
يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل
من قال برؤية محمد نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في
الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه
قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال
لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن
اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث
ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن

وحديث ابي ذر الاخر محتمل مختلف مشكل فروي نورٌ أنّى اراه وحكى بعض
مشايخنا انه حكى نوراني اراه وفي حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا
وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا
فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى
والى هذا يرجع قوله نورٌ أنّى أراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره
بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلى ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق
الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص
بيّن في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي
يرده والله الموفق تعالى **فصل** واما ما ورد في هذه القصة من مناجاته
لله وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحى الله الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله
عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى
اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وذهب بعض المتكلمين ان محمدا
صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس رض وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الاسراء
عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنى فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات
عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن
وفي حديث انس في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي
باذنه ما يشاء فقال هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله
وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار رحمه الله
عن علي في حديث الاسراء ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام

الله

الله من الاية فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام
في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول
فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه جائز
غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر
احتمل عليه وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب
العزيز واكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في
الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمد فوق هذا كله
حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او
يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق
بعض درجات **فصل** واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من
الدنو والقرب من قوله دنى فتدلى الايتين فكان قاب قوسين
او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل عليهما السلام
او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى قال الرازي وقال
ابن عباس هو محمد دنى فتدلى من ربه وقيل معنى دنى قرب وتدلى
زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي
عن ابن عباس هو الرب دنى من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنى من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب
منه فاراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو
مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه
ثم رفع فدنى من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت الاصوات عني
وسمعت كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى
ودنى الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى
فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن
محمد بن كعب القرظي هو محمد دنى من ربه فكان قاب قوسين او ادنى

قال وقال جعفر بن محمد اداناه ربه منه حتى كان قاب قوسين قال وقال جعفر بن
محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت
الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع
قلبه من المعرفة والايمان بسكون قلبه الى ما اداناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من اضافة
الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي من
ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار
معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته وهي له مبرة وتانيس وبسط
واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد
الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم
انه بنفسه دنى جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى
بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين
او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل على هذا كانت عبارة
عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد
صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي
وانافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتاول فيه ما يتاول في
قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول **فصل** في ذكر
تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة **حدثنا** القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل
وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي
حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام عن الليث عن الربيع بن
انس عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد
ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا

الحديث

الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا
خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا
ابلسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي
الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم
اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي
سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء
الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول
من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
آدم يوم القيمة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع
وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي
فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس
يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم انا
سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر
حديث الشفاعة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبيا
اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى
فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت
دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات
امهاتهم شتى وان عيسى ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به
وقوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ لجا
الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا
ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له
تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك

فى الدنيا وكذلك لجا اليه جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم
فى الاخرى دون دعوى وعن انس قال قال انى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح
لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضى مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه
اطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ
ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان وايله يشخب فيه
ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من
ورق وفى رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعا وقال
انس رض ايلة وصنعا وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود
وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة
ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله
ابن زيد وسهل بن سعد وسويد ابن جبلة وابو سعيد الخدرى
وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسما
بنت ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم وابو بكر وعمر بن الخطاب
وابن بريدة فصل فى تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار
الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا
ابو القسم بن ابراهيم الخطيب وغيرهم عن كريمة بنت احمد بن محمد قالت
حدثنا ابو الهيثم حدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضى
ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن محمد
حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن
ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا
غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وفى حديث اخر وان صاحبكم خليل

الله

الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
وعن ابن عباس رض قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنى منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا وقال
آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم
وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك
وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك
وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا
حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها
ومعى فقراء المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
وفى حديث ابى هريرة من قول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى التوراة آنت حبيب الله
قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف فى تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس فى انقطاعه اليه
ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير
واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا وسمى ابراهيم خليل الله
لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن
بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة
وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه
بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق ليرمى
فى النار فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك
الخلة صفا المودة التى توجب الاختصاص بتخليل الاسرار وقال
بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع

والتشفيع وقد بيّن تعالى ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب ان لا المحبوب
يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة هنا اقوى من البنوة لان البنوة
قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فلا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام
اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما اليه والانقطاع عمن دونه
والاضطراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما وخفي لطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الالهية
ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفا قلوبهما
عن من سواه حتى لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف
العلماء رحمهم الله ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها
بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة
ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه
وقد اطلق المحبة عليه الصلاة والسلام لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من
درجة الخليل ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب ولكن
هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده
تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به

ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفا القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا
عبّر بعضهم عن الخلة بقوله: قد تخللت مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي • واذا ما سكت كنت الغليلا • فاذا مزية
الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال
الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم
على التولي عنه في قوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد
نقل ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما حسنا في الفرق
بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة
على الخلة ونحن نذكر طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل
يصل بواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض والحبيب يصل الى حبيبه به من قوله فكان قاب قوسين
او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من
قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في
حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
والخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد
اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفضيله صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا **اخبرنا** الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتبه الي بخطه حدثنا
سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو محمد
قالا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا اسمعيل بن ابان
حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون
يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا وعن ابي
هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر
الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا
ثم يؤذن لي فاقول ما شا الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه
الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه
الاولون والاخرون وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك
وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت
بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين وعن ابي
هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم

خ الخطائين

دما

٢٦

دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان
يوتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس
في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا
سكوتا لا تكلم الا باذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في
يديكم والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك
واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك
رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي وعده وقال ابن عباس رض
اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر زمرة من الجنة
واخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسالون آدم وغيره
في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد
يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج
الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج
الجهنميين انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن
سلمان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله عن
ابي هريرة وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود هو مقامه
عليه الصلاة والسلام للشفاعة مذهب السلف من الصحابة
والتابعين وعامة ايمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في
صحيح الاخبار عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها
شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح
اثر ولا سند يد نظر ولو صح لكان تاويل غير مستنكر لكن ما فسره
النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه
مع انه لم يات في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقالة به امة

وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس عن
ابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في بعض قال عليه الصلاة والسلام
يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون وقال فيلهمون
فيقول الناس لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس
بعضهم في بعض وعن ابي هريرة فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما
لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون
آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء
كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى نوح فياتون نوحا فيقولون انت نوح اول الرسل الى اهل الارض
وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع
لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي
اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها
على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فيقول ان ربي اليوم غضب غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن
نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه
الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فياتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته
التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون
عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن
لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا

وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الان الا ان
يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء
عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي وقال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع
راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية
انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي
فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ذلك ثم ارجع
وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى من مثقال حبة
من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال ارفع راسك وقل تسمع
واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله
الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي
وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة
عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر
وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتي الامانة
والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة
فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرحال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط
يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي
رواية ابي هريرة عنه فاكون اول من يجيز وعن ابن عمر ثم يوضع
للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي

ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة
برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا
فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة ولا
فخر وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ
منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع
حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس
كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن
فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث
ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه
الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى
الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت
دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم
دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه
يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن

ابي

٢٨

ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له
وانا اريد ان ادخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي
صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثله رواية ابن زياد عن ابي هريرة
فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا
فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا
اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة
وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا
عن امته وصلى الله عليه وسلم **فصل** في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة
والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد
ابن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد بقرائتي عليهما قالا
حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النميري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن
ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن علقمة عن عبد
الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا
علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا
هو فمن سال الله تعالى لي المنزلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث
اخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده الى طينته فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمر مثله
قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من
الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد عليه

امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر
الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام
عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ
ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي
له من الازواج والخدم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح
الاثر واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبيا فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا
السمرقندي قال حدثنا الفارسي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن
قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من
الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني
على موسى وذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن
متى وعن ابي هريرة عنه ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديث
الاخر فقال يا خير البرية قال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلما في هذه الاحاديث
فجاءه رجل صح
تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد
آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم
فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله
هو

هو وانما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه صلى الله
عليه وسلم قاله على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من
الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يودي الى تنقص
بعضهم او الغض منه لا سيما من جهة يونس اذ اخبر عنه بما اخبر لئلا
يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته
الرفيعة اذ قال الله عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه فربما يخيل عند من لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا فيها على
حد واحد اذ هي شي واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال
والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل
وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها ولذلك منهم الرسل ومنهم اولوا
العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا
واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على
بعض وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال بعض
اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال
ان تكون آياته ومعجزاته ابهر واشهر وتكون امته ازكى واكثر او يكون
في ذاته ازكى واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا
وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه
وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم
على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا
راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكا والعصمة

والطهارة ما بلغ انه خير من يونس بن متى لاجل ما حكى الله عنه فان درجة
النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى
وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان الغرض
وسقط بما قررناه شبهة المعترض والحمد لله فصل فى اسمائه صلى الله عليه وسلم
وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى تليد الفقيه حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح
حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى
يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه
الله فى كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى
اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا
فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال
الحمد ويشتهر فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما
محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه
من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته فى كتب انبيائه
بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجائب
خصائصه وبدائع اياته فن اخر هو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل
زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله بحكمته ان يسمى
به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك
وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم
بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد
ابن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن البراء البكرى
ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى

السلمى

اول من تسمى محمد

السلمى لا سابع لهم ويقال ان اول من سمى محمد بن سفيان واليمن
تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى
النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى
تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله انا
الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما
من مكة او بلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره فى الحديث انه الذى محيت به سيئات
من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى اى على
زمانى وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين وسمى عاقبا
لانه عقب غيره من الانبياء وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعدى
نبى وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى كما قال الله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لى خمسة
اسماء قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من الامم السالفة
والله اعلم وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم لى عشرة اسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكى وقد قيل فى بعض التفاسير انه يا طاهر يا هادى وفى يس
يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى وجعفر بن محمد وذكر غيره لى عشرة اسماء
فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة
ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم كما ذكرناه بعد عن الحربى وهو
اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا فى كتب الانبياء قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه صلى الله عليه وسلم لى فى القران سبعة اسماء محمد واحمد
وطه ويس والمدثر والمزمل وعبد الله وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر

ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة وكل صحيح ان شا الله ومعنى المقفي
معنى العاقب واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمومنين روف رحيم وقد قال في
صفة امته انها امة مرحومة وقد قال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه ربه تعالى رحمة لامته ورحمة
للعالمين ورحيما بهم ومترحما بهم مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله
يحب من عباده الرحما وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السما واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من
القتال والسيف وهي صحيحة وروى حذيفة مثل رواية ابي موسى
وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى
الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد
جاءت من القابه عليه الصلاة والسلام وسماته في القرآن عدة كثيرة منه سوى
ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد
والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والامين وقدم صدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم وطه ويس
والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى
منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة
جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب
العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق
والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين
وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء

والقضيب

والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان
والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه
صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق
وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق
بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه
طيب طيب وحمطايا اي حامي الحرم والخاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب
فالخاتم الذي ختم الانبيا والخاتم احسن الانبيا خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين
ومعنى صاحب القضيب صاحب السيف وقع ذلك مفسرا في
الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد
يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان
عند الخلفا واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها
والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي
لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب
والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب كثيرة
وفيما ذكرناه منها مقنع ان شا الله **فصل** في تشريف الله تعالى له
بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العليا
صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا بفصول
الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله
فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله سبحانه خص كثيرا من
انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل
بعليم حليم وابراهيم بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى
بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسمعيل بصادق

الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة
كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد
من جمع فيها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا
منها في هذا الفصل نحو الثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم
الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الآن
ويفتح غلقه. ومن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه
وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات
وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمد واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع
اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد
وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله. وشق له من اسمه ليجله.
فذو العرش محمود وهذا محمد. ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما
بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن
اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك
المبين اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون معنى المبين
لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه
فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين
وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن
الله ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه
تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات والارض
بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى المؤمنين
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القران وقال فيه
سراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب

المومنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد ومعناه
العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا
فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى
الاكرم وسماه تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل
وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن
اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في
النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم
في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك
وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما
لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعدائه او لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى تعالى عنه جبرية الكبر التي لا تليق به فقال تعالى وما انت
عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل المخبر وقال تعالى الرحمن فاسال به خبيرا قال القاضي ابو العلا المامور بالسوال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل
النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم
على غاية من العلم بما اعلمه الله تعالى به من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته
بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين
عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد
جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدي الفتح
والنصر وسمى الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل
من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله

تعالى وجعلك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه
على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون
الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح
لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدي
بهداية الامة او المبدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم
كنت اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى
في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين
ووصف بذلك نبيه نوحا فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم
ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه
بمزية منه فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه الاول
والاخر ومعناهما السابق للاشيا قبل وجودها والباقي بعد
فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت
اول الانبيا في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو هذا عمر بن الخطاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم نحن
الاولون السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من
يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل
صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور
وورد في الحديث ايضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق المصدوق

ومن



ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى
انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مؤمن وقال الله
تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه
فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد
وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره بالعفو فقال خذ
العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال فاعف عنهم واصفح
وقال له جبريل وقد ساله عن قوله تعالى خذ العفو فقال ان تعفو
عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس
بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو
بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعا قال الله تعالى
والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم واصل
الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله باذنه فالله مختص بالمعنى الاول قال
تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا وبمعنى الدلالة يطلق
على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن والمهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى
المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق
لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا
من ظلمه والمؤمنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر
منه فقلبت الهمزة ها وقد قيل ان قولهم في الدعا امين انه اسم من اسماء
الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله
عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال
مطاع ثم امين وكان عليه الصلاة والسلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله ثم اغتدى بيتك المهيمن
من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي

وقال الامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي
يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت
المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس
ووقع في كتب الانبيا في اسمائه عليه الصلاة والسلام المقدس اي المطهر
من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او لانه
يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال
ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع
الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة
ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله نفسه بالبشارة
والنذارة فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله
يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله مبشرا ونذيرا او بشيرا اي لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم **فصل** قال القاضي ابو الفضل وها انا اذكر نكتة
اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما
تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه
وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا
من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى
المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك
صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض
والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه

وكفى

لفظة فصل ساقطة من بعض النسخ

وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين
المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من
الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي بيانا وهي مقصودنا فقال ليس
كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة
كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع من مسائل التوحيد وكيف تشبه
ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل
الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض ولا وجد
ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال
اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم
فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى
موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته
فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا
مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير
لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسال عما يفعل
وهم يسالون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون فثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والتشبيه بمنه وكرمه الباب
الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا

هذا لم يجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج
الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها
ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع
ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا
في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان
نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره
عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع
او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل
المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه
ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب
مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان
عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر فلما
استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا** به القاضي
الشهيد ابو علي حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن
سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله
ابن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن
لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما
وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد
علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير ... قال بكم
قال بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا
ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان
تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر
الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام
قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان
اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب
فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود واشهد
انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل
على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات
مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر **فصل** وقد آن ان ناخذ في
ذكر النبوة والرسالة والوحي وبعد في معجزة القرآن وما فيه من
برهان ودلالة **اعلم** ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة
في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته
ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء
وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون ذلك
الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من جنسهم كالانبياء
مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا
به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي
فاتبعوه واطيعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل

فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى فى مصنفات أئمتنا
رحمهم الله تعالى والنبوة فى لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقال
لا تهمز فى هذه التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبى منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه
الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه
من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة
نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان فى حقه مؤتلفان واما الرسول
فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل فى اللغة الا نادرا وارساله امر الله
له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء
الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكأنه الزم تكرير التبليغ
والزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبى والرسول بمعنى
او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا
بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فقد اثبت لهما
معا الارسال قال ولا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما
مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
فى زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا واحدا
لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبى
الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح الذى عليه الجم الغفير ان كل رسول نبى وليس كل
نبى رسولا فاول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفى حديث
ابى ذر ان الانبيا مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر
ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم واخرهم محمد فقد

معنى النبوة والرسالة

الفرق بين النبى والرسول

وافترقا

عدد الانبيا والرسل

بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبى ولا وصف
ذات خلافا للكرامية فى تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحى فاصله
الاسراع فلما كان النبى يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى وحيا وسميت انواع
الالهامات وحيا تشبيها بالوحى الى النبى وسمى الخط وحيا لسرعة حركة يد
كاتبه ووحى الحاجب واللحظ سرعة اشاراتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا
السرعة وقيل اصل الوحى الاخفاء ومنه سمى الالهام وحيا ومنه قوله وان
الشياطين ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم ومنه قوله
واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها وقد قيل ذلك فى قوله تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة فصل اعلم ان
معنى تسميتنا ما جاءت به الانبيا معجزة وهو ان الخلق عجزوا عن الاتيان
بمثلها وهى على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه
فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمنى الموت وتعجيزهم عن الاتيان
بمثل القرآن على رأى بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما
لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبى من فعل الله
وتحديه من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التى ظهرت على
يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين
النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما
سنبينه وهى فى كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها
وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبى صلى الله
عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك
الكوثر فكل اية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها
معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته

فعل

صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن فلا
مرية ولا خلاف في مجيء النبي وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا
معاند جاحد فهو كانكاره وجود محمد في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه
معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ايمتنا ويجري هذا المجرى على
الجملة انه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ
واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على
يديه ولا يختلف مومن ولا كافر انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله صدقت
فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق
معانيها كما يعلم ضرورة وجود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق
الاخبار الواردة على كل واحد منهم على كرم هذا وجوده وشجاعة هذا
وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين
نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والاخبار كنبع الما من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم معلومة
بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده
ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من
طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفا المومنين بل نرغم بهذا
انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الما وتكثير الطعام

رواها

٣٧

رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة
واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي
غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين
ومجمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا
انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ورهبة
ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض
اشياء رووها من السنن والسير وحروف القرآن وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله ملحق بالقطعي من معجزاته لما بينا
وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف بعضها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارية واعلام نبينا
هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الايام الا ظهورا ومع
تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف
اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها
الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباوه بما يكون وكان
معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطا عليه وقد قال به من
ايمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رضي الله عنهما واوجب ما عندي قول
القايل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته
للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق
النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد مدينة عظيمة ودار الامامة
والخلافة واحاد الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقها

ضعفها خ

من اصحابه مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراة ام القرآن في
الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان
مذهب الشافعي تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في
النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في جميع ذلك وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم
ولا يرى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا
احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله وله الحمد والمنة فصل في اعجاز
القرآن العزيز اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه
من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن
تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب
وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله
لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منها على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون
ويفتخرون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من
ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون
الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون
الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ
الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي
ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة

البالغة

البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان
الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا
عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في
الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر
وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه
واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه
وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق
على كثرة فوايده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في
الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا
بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في
كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين ام يقولون
افتراه قل فاتوا بسورة مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب واللفظ
اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم
صلى الله عليه وسلم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط
اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون
عن مماثلته يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغترار والافتراء
وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا

القرآن والقوافيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال الله لهم ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن تعاطى
ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من
فصيح كلامهم والا لم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم
ولا من جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد
وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان
الله يامر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر
ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت
لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا
فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن
الخطاب كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد شهادة
الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها
وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتاملتها فاذا
هو قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله
تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام
جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول
الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في آية واحدة بين امرين
ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفردا بذاته غير
مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي
صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه صلى الله عليه وسلم خارقا للعادة في فصاحته معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من
اصلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا
تاملت قوله ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وقوله ولو ترى اذ

قلم

وكونه منفردا بايام ... معلوم ضرورة

فزعوا

فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقوله فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القرآن
اذا نظرت حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل
لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين
من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها
ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه
كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا
معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب
والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شئ منه بل حارت فيه عقولهم وتولهت دونه احلامهم ولم يهتدوا
الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع
كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم
بعضا فقالوا كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته

ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر
قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه
ومقبوضه قد عرفنا ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا
الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين
المرء وابيه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت — سبب نزول قوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا
وحيدا الآيات وقال عقبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا — قول عقبة بن ربيعة حين سمع القرآن
ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر
ابن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر
شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى
ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقولون قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم
ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي
انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة — اعجاز القرآن العزيز
كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب
الغريب بذاته كل واحد منهما نوع من الاعجاز على التحقيق لم تقدر
العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين
لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ايمة التحقيق — اختلاف المحققين في وجه الاعجاز
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف
خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف

أيمة

ايمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في
قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه و
واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق
الممتنعة على اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا
وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم
الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز
العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ من التعجيز واحرى بالتقريع
والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر
آية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء
والقتل وتجرعوا كاسات الهوان والصغار والذلة وكانوا من شموخ
الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه
الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم فالشغل بها اهون — فالمعارضة
عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم
قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد
جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك
خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول
الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا
ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل** الوجه الثالث من
الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع
فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقوله ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا

منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الآية
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل
الناس في الاسلام فوجا فوجا فما مات النبي صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب
كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المومنين في الارض ومكن فيها
دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى
الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وكذلك كان لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة
والمعطلة لا القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا
على خمسماية عام فما قدروا على شيء من اطفاء نوره ولا تغيير كلمة — فما قدروا على اطفاء شئ من نوره
من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله تعالى لن يضروكم
الا اذى الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود
ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم في ذلك كقوله ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله
ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله تعالى من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده
المومنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين الآية ولما نزلت
بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزون نفرا
من مكة ينفرون الناس عنه ويوذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من
الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة
صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما اخبر به من اخبار القرون السالفة والامم البايدة

والشرايع

والشرايع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار
اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب
عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه عن هذا
فينزل عليه في القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك
من الانباء وبدء الخلق وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه
فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق
له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود
على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم
بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سوالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن
اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم
شرايعهم ومضمنات كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب
الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن
طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه
من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته
واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وبني اخطب وغيرهم ومن
باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف
بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر
خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين **فصل**

هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه
البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا
واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الآية قال ابو اسحق الزجاج
في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم
الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي
اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله
يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي
رحمه الله من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى
بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود
مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك آية المباهلة من هذا
المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله
عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا
باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه
نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله
تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل في باب
الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها
الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن
فلا يزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته يوليه انجذابا ويكسبه

هشاشة

هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به فلا يزال روعته به وهيبته اياه قال الله تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال
لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري
من لم يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مما بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة
من قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن ومنهم من
كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم رض قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر
الاسلام في قلبي وعن عتبة بن ربيعة رض انه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي يقرأ وعتبة مصغ له وملق يديه
خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه
حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام ما سمعت اذناي بمثله
قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه
اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه
وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحى ما عمل
وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل
وقته وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمانه فحكي انه رام شيئا
من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه
على منوالها قال فاعترتني رقة وخشية حملتني على التوبة والانابة **فصل**
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع
تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضا
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله
الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة
باهل البيان وحملة علم اللسان وأيمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشي يوثر
في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على طعن صحيح ولا قدح
المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاوه
في العجز بيديه والنكوص على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الايمة ومقلدي
الامة في اعجازه وجوها كثيرة فمنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا تمجه
بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا
غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد
ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات
وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لحونا وطرقا
يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجايبه وهو
الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به
الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى
الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم
قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم
ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على
طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة
الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها
فلم يقدروا عليها كقوله عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
وقل يحييها الذي انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى نحوه

من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي
ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن
آمرا وناهيا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما
بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال
به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر
ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم
بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفا
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا
تنقضي عجايبه ولا تخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول
ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين
الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن وحسن وضعه وايجازه وبلاغته
واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة
والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز
المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على
النفوس واوعى للقلوب واسمح في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه
اميل والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجماعة على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه
للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ائتلاف

انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من
باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر
واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب
الى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل
هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل
اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك
القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به
والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك
الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم من ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء عليهم
السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي
انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز
القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب
بلاغته فلا يجب ان تعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة
الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من
خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق **فصل** في انشقاق
القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان
يروا آية يعرضوا اخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض
الكفرة عن آياته واجمع المسلمون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن
محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله قال حدثنا
الاصيلي قال حدثنا المروزي قال حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري
قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن
ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رض قال انشق القمر على عهد رسول

الله

٤٧

الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود رض الاسود وقال
حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد
فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان
سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسالوا من ياتيكم
من بلد آخر هل راوا هذا فاتوا فسالوهم فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى
السمرقندي عن الضحاك رحمهما الله مثله وقال نحوه فقال ابو جهل خذله الله هذا
سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا
عن ابن مسعود علقمة رض فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود
كما رواه ابن مسعود رض منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن
مطعم رض فقال علي رض من رواية ابي حذيفة الارحبي رض انشق القمر
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رض سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم
ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما
رواه عن ابن عباس قتادة رض وفي رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق
القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر رض مجاهد
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي
واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض
مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق
ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به
حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل

ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحابة او جبال ولهذا نجد الكسوف
في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي
بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية
القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك
واهتبل به ولذلك ما يكون كسوف القمر كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى
يخبر وكثيرا ما حدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام يظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها
وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس رضي الله عنها من طريقين
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر
حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت اسماء رض فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على
الجبال والارض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان
ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي رحمه الله ان احمد بن صالح كان يقول لا
ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء رض لانه من
علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن
اسحق لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة
في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت
قريش ينتظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء
من بين اصابعه وتكثيره ببركته اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا
روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم
انس وجابر وابن مسعود رض حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رح

بقراءتي

بقراءتي عليه قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل قال حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد
قال حدثنا ابو عمر بن الفخار قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا يحيى بن مالك عن
اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رض قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء
يده وامر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرايت الماء ينبع من بين اصابعه
فتوضا الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة
رض فقال باناء فيه ما يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء
ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد
وثابت والحسن عن انس رض وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعن ثابت ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما
ابن مسعود رض ففي الصحيح عنه من رواية علقمة رض بينما نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه
فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من
بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن
جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضا
منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع النبي ص
يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت
كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمسة عشر مائة وروى مثله عن
انس عن جابر رض وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن
الصامت رض عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم الطويل في ذكر
غزوة بواط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر
الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى
الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط

يده في الجفنة وفرق اصابعه ثم قال صب
جابر رض عليه وقل بسم الله فرأيت الماء يفور من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده عن الجفنة وهي ملاء وعن الشعبي رض اتى النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس
يجيئون ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن
حصين رض ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا
يتطرق التهمة الى المحدث بها لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل وهؤلاء
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر
احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار
كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من المعجزات تفجير الماء ببر
كته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطا عن معاذ بن
جبل في قصة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء
مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى في شيء ثم غسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى
الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس
كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى
ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه
اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم

وركابهم

وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء
فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملأوا كل اناء
معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى
مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل
الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا فيه ايات ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم
يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب
مسلم انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر
نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين رض حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهم انهم يجدون
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول
ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم
يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران بن حصين وتخيل الي انهما لم يزدادا الا
امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملؤا ثوبها وقال لها اذهبي فانا لم ناخذ
من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع رض
قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة من
ماء فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة
وفي حديث عمر رض في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان
الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر رض الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما
معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم

وضرب بقدمه الارض فخرج الما فقال اشرب والحديث في هذا الباب
كثير ومنه الاجابة بدعائه الاستسقا وما جانسه فصل ومن معجزاته
تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا
العذري قال حدثنا الرازي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال
حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا الحسن بن اعين قال حدثنا
معقل عن ابي الزبير عن جابر رض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث
ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء بها انس رض تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله
ان يقول وحديث جابر رض في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من
صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان
برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
في العجين والبرمة وبارك فيه رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن
ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء وقال ما شاء الله ان يقول واكل من
في البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي
بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولابي بكر رض من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج
منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة بن جندب رض اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي بكر رض كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وايم الله
وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد

بطنها

بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد
بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه
ومثله عن سلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رض فذكروا مخمصة اصابت
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل
بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما
بقي في الجيش وعاء الا ملؤوه وبقي منه قدر ما جعل اولا واكثر ولو ورده اهل
الارض لكفاهم وعن ابي هريرة رض امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة
رض فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا
وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رض
جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي منه كانه لم يشرب منه وقال انس رض ان
النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل
من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل
حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون
وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية
اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا
وقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن
محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رض ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما
ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه
صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها رضي الله عنهما ثم رفعت القدر وانها
لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رض ان يزود اربعمائة
راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه وكان

خ
الرابض

قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من ذكين الاحمسي ومن رواية جرير
رض ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر رض في دين ابيه بعد موته وقد كان
بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنتين كفاف
دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امر بجذها وجعلها بيادر في
اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر رض غرماء ابيه وفضل مثل ما
كان يجدونه في كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء
يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رض اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال
فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال
ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت
منه على اكثر مما جئت به فاكلت واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر رض الى ان قتل عثمان رض فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكر
مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا
حديث ابي هريرة رض حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة رض قال
فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها
فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله
عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب
وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا
فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله

عظما

عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها
في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر
خبره الدولابي ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رض فاطمة
رض ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا
لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة
ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه
وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رض تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت
امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا
لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم وقال
لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث
هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذه الفصول
بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم لا ينعد بعدهم
واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق
ولا سكت الحاضر لها على ما انكره **فصل** في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته **حدثنا** احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه
عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القسم البغوي احدثنا
احمد بن عمران الاخنسي قال حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن
عمر رض قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين
تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي
بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعاها فاقبلت تخد الارض
حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت

ن
امي ام سليم

الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك
الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى
وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الاعرابي
ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان
تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي
الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجة فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها قال
انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قايده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما
قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر
قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى
اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد
افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد رض نحوه قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل يعني مكانا الحاجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى
من نخل او حجارة فقلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق
وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركن ان تاتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رايت
النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن

والحجارة

والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة رض كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر
وديتين فانضمتا وفي رواية اشائتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله
في شجرتين وعن ابن مسعود رض عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن
يعلى بن مرة وهو ابن سيابة رض ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
رض اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
رض عن ابن مسعود رض في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال
هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل فهذا ابن عمر وبريدة وجابر
وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس رض وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من
القوة حيث هي وقد ذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة
الطايف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة
معظمة ومن ذلك حديث انس رض ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت
تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها
وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارني اية لا ابالي من
كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب
قومه وطلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحق رض ان النبي صلى الله عليه وسلم
اري ركانة مثل هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه

ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رض انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه وانهم
يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا
فيه شجرة فادع غصنا يأتك ففعل فجا يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب قد علمت ان لا مخافة
علي ونحوه عن عمر رض وقال ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن
عباس رض انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه
النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم قال فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال
ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وهذا حديث صحيح فصل في قصة حنين
الجذع ويعضد هذه الاحاديث حديث انين الجذع وهو في نفسه
مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه بضعة عشر من
الصحابة منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وابو سلمة
والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له
المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس رض حتى ارتج
المسجد بخواره وفي رواية سهل رض وكثر بكا الناس لما راوا به وفي رواية
المطلب رض حتى تصدع وانشق حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه
فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة حزنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا
في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس رض وفي بعض
الروايات عن سهل رض فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي
حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي
فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرائيني ان النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد
الى مكانه وفي حديث بريدة رض فقال يعني النبي عليه السلام ان شئت
اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فتاكل
اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم ليسمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه
فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقا
على دار الفنا فكان الحسن رض اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله
الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان
تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبد الله ويقال عبيد الله
ابن حفص وايمن وابو نضرة بن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو
صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن
ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الورك عن ابي سعيد الخدري
وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن
سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه
والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل فهذا حديث
كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه عن الصحابة من ذكرنا وغيرهم من
التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في ساير
الجمادات حدثنا ابو القسم قال حدثنا احمد ثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا المروزي
قال حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابو احمد
الزبيري قال حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رض قال كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود رض كنا
ناكل مع رسول الله عليه السلام الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس رض اخذ النبي
صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا

لقد كنا خ

التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر رض فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى
مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان رض وقال علي رض كنا بمكة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
بمكة حجرا كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رض لما استقبلني
جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن عبد الله رض لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث
العباس رض اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من وعلى اهل بيته
النار كستره اياهم بملائه فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وعن جعفر بن محمد رض عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل
عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس
رض صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رض احدا فرجف
بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي
هريرة رض في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال انما عليك نبي
او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعيدا قال ونسيت الاثنين
وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر رض ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره يمجد الجبار
نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس رض كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل
بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما
اشار الى وجه صنم الا وقع لقفائه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها

صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء
امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل
يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا
حجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل النبي صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء اليه **فصل** في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا سراج
ابن عبد الملك ابو الحسن الحافظ قال حدثنا ابي قال حدثنا القاضي يونس
قال حدثنا ابو الفضل الصقلي قال حدثنا ثابت بن قاسم عن ابيه وجده قالا
حدثنا احمد بن عمرو قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس بن عمرو قال حدثنا
مجاهد عن عائشة رض قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي
قد صاد ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت
بك او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض
سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال من انا
قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من
كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهور عن ابي سعيد الخدري
رض بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه
فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي

النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فخذ بهم ثم قال صدق والحديث
فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة رض وفي
بعض الطرق عن ابي هريرة رض فقال الذئب انت اعجب واقفا على
غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له
ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا
ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس
وانه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن الاكوع وانه
كان صاحب القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد رض وقد روى ابن
وهب رض مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع
ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك
فقال له الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه
الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها
خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر انه جرى لابي جهل واصحابه وعن عباس
ابن مرداس رض لما تعجب من كلام ضماد صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط فقال يا عباس اتعجب من كلام ضماد ولا تعجب
من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر رض عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وامن به وهو
على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم
قال احصب وجوهها فان الله سيودي عنك امانتك ويردها الى
اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رض دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر ورجل من الانصار رض
وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رض نحن احق بالسجود لك منها

الحديث

الحديث وعن ابي هريرة رض دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر
مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر رض
قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي عليه السلام دعاه
فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء
والارض شيء الا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى
رض وفي خبر آخر في حديث الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه
انهم ارادوا ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل
وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في
شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روى في قصة العضباء وكلامها النبي صلى
الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب
الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته حتى
ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب رض ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله
عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس رض وزيد بن ارقم والمغيرة
بن شعبة رض ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه
النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر ان
العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون له وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد
لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله
ابن قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد
فازدلفن اليه بايهن يبدا وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان
في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت
نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول
الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء
وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روى من تسخير
الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي

الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به
فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله فجعل يغمزني بمنكبه
حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة للقوم من عبد
القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر فيها
وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد رض باسناده من كلام الحمار
الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم
يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه
ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات
وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه
ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكر
قد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها
فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقول الفرس عليه السلام وقد قام
الى الصلاة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من
صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا منه حتى صلى صلى الله عليه وسلم
ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك
فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذين بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع في كتب الائمة **فصل في احياء
الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة** حدثنا
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا
حدثنا ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن

ابن

قصة الاسد مع سفينة مولاه

قصة اذن الشاة

الحمار وكلامه

الناقة التي شهدت

درور العنز

امتثال فرسه لامره

النفر الذين توجهوا للملوك

ابن يحيى قال حدثنا احمد بن سعيد قال حدثنا ابن الاعرابي قال حدثنا
ابو داود قال حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي
سلمة عن ابي هريرة رض ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية
سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على
ما صنعتيه قالت ان كنت نبيا حقا لم يضرك الذي صنعت وان
كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه
قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها
قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله رض وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها
وفي رواية الحسن ان فخذها تكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن
قالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن
انس رض انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني
فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وعن ابن عباس رض انه دفعها لاولياء بشر بن
البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله الذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه
اثبت عندنا وقد روي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا
انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا
احدا وقال القاضي ابو الفضل قد خرج حديث الشاة المسمومة اهل
الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة النظر في هذا الباب فمن قائل
يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة والحجر والشجر وحروف واصوات يحدثها
الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها من هيئتها وهو مذهب

الشاة المسمومة

كلامها له عليه السلام

شهادتها له عليه السلام

الاختلاف في قتلها

الاختلاف في كيفية نطق الجمادات وغيرها

الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر واخرون وذهب الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم
الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن الاشعري وكل محتمل والله اعلم اذ لم تجعل
الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها
فاما اذا كانت اي الحروف والاصوات عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحيوة ليحلها
اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين ساير متكلمي الفرق في احالة
وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب مخصوص يصح منه
النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال
ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا
لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد
من اهل السير والروايات شيا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة
اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا قال رسول الله وروى عن معرض
ابن معيقب رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى
شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن رض
اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه
الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك
وسعديك فقال لها ان ابواك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت ابويك
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رض ان شابا توفي من الانصار
وله ام عجوز عميا فجثناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم
ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا خ الى ان
تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
معه وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري رض كنت فيمن دفن خالد بن قيس بن
شماس رض وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر

الصديق



الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان
ابن بشير رض ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي
اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا
فحسر عن وجهه وقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في
الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل** في
ابراء المرضى وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه
وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس
قال حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق
قال حدثنا ابن هشام وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد
بطولها قال وقال قال سعد بن ابي وقاص رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ عين قتادة يعني
ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن
عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري رض عن قتادة وبصق على اثر سهم
في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى
النسائي عن عثمان بن حنيف رض ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي
عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك
خ بنبيك واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان
يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى
ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيده حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا
يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر
العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان

لا يبصر بهما شيئا فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرأيته يدخل
الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد
في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم
تمد وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها
السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل
يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى
ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده
فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب
ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث
عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاه اياه وامرها بسقيه ومسه به
فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رض جاءت امرأة
بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود
فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له
وتفل عليه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على
السيف وعنان الدابة فشكاها النبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها
من بين يديه وكانت قليلة الحيا فقالت انما اريد من الذي في فيك
فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها
القي عليها من الحيا ما لم يكن امرأة بالمدينة اشد حيا منها **فصل في**
اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث

حذيفة

حذيفة رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده
وولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القسم حاتم
ابن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا محمد بن
يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا عبد الله بن ابي الاسود قال حدثنا
حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رض قال قالت امي يا رسول الله خادمك
انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن
رواية عكرمة قال انس رض فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء
العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول
سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا ففتح الله عليه ومات فحفر الذهب
من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا
وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في
حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها
سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وباقتابها واحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة
ولسعد بن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز
الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رض ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر رض واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعا
فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقا فسقوا
ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك
له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية
فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش

عشرين ومائة سنة وقيل اكثر ودعا لابن عباس رض اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة
في صفقة يمينه فما اشترى شيا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت
عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه لو اشترى اسم موضع
ترابا ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه
بها اعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة رض فاسلمت ودعا
لعلي ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها الله قالت فما
جعت بعد وساله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع
له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه
فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان
يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا
ودعا على صبي قطع عليه صلاته ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل رآه
يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها
الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن
مسعود رض في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن ابي
العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال
كذلك فكن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة فمات
لسبع فلفظته الارض ثم ووري فلفظته مرات فالقوه بين صدين
ورموا عليه بالحجارة والصد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي
التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم

علي

على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية
برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به **فصل** في كراماته
وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد قال حدثنا
ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي قال حدثنا ابو ذر قال حدثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا
يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رض ان اهل المدينة
فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به
قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا
يجارى ونخس جمل جابر رض وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها
فلم يملك راسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب حمارا
قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره
في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن
اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا
القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها
خ ٢ العافري واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسرها على ركبته فصاح
الناس به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من
فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار
انس فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له
اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي بدلو
من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه
وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم

سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا
فيأتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شي فتعمد اليها فتجد فيها
سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان
المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتب مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق
وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة
غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها
فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي
عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد شبعها
اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة
ابن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به
فانه سيضي لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك
فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فاضاء له العرجون
حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل
حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما
طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة فكان هذا السيف يسمى العون ودفع لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فعاد في يده سيفا ومنه بركته في
درور الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور
وشاة انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا
فيه فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن ابيض وزبدة في فمه

انقلاب الاعيان ببركته صلى الله عليه وسلم

من

من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات
وهو ابن ثمانين فما شاب وروي هذه القصص عن غير واحد منهم السائب
ابن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه
عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس
ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى
الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه
نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة
ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه وكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه
والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في
وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها
ومسح على راس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى
والمجانين فبرأوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها
ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في
صدره الا ذهب والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه
ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير
ابن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح
على راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال
طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيب وما يكون والاحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة المعجزات المعلومة على القطع
الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على
الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءته على غيره قال ابو بكر

بيديه على بطنه

ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة واخبر بشأن
أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون
كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب
على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا
تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة
من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسب آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشأن
الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم
رؤوس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها
وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر بالموتان الذي
يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك
على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك
وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل
خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي وناقته حين
ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية
عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير
الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر
اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه وقال ما علمه
غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه
يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر وكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد

ويصلح

وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام
ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى
بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر ابا ذر بتطريده كما
كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد
الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر ان
اسرع ازواجه لحوقا به اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة
واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد
ابن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما
اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد
وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون
لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام
ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى
بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت
هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه
من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى
ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة
البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط
ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على
تلك الصفة واعلامه قريشا ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم
وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم الله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش

باكل الأرضة صح

بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم
بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال الى
ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها
كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة
وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها
وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة
وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده
وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية **فصل** في

واكثرها في الصحيح وعند الائمة

عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله
يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال
اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا
وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن
عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا ابو العباس المروزي قال حدثنا ابو عيسى الحافظ قال
حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا مسلم بن ابراهيم قال حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد
الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس

كان النبي

حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل
تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله
فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال
دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن
الحرث صاحب هذه القصة وان النبي عليه السلام عفى عنه فرجع الى قومه
وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت

له

56

له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله وقد روي انه وقع مثلها له في غزوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه
دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم
واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل
دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت انه ملك واسلمت
قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وفي رواية
الخطابي ان غورث بن الحرث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي فلم يشعر به الا وهو قائم على
راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا قيل وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء
فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على
طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها
لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا
رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا
علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا
حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت
انا وابو جهم بن حذيفة ليلة على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا
له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على
عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على قتله
وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم

وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له
من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل
الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة
ابن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل فأنذر
به فركب فرسه فاتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فاتبعه خ
فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال
لا تحزن إن الله معنا فساخت قوائم فرسه إلى ركبتيها ثانية فخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه ابن
فهيرة وأبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم ألا يترك أحدا يلحق
بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما
علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا أقبل خ
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه وجاء فيما ذكر ابن إسحق
وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده
ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه
ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله
قط هم بي ليأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لأخذه
وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله
على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى
دنوه وذكر أن في هاتين القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين
ومن ذلك ما ذكره ابن إسحق في قصته إذ خرج إلى بني قريظة في أصحابه
فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى

فقام

فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل إن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي أنه خرج إلى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن
أمية فقال لهم حيي بن أخطب اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجة حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث
عن أبي هريرة رضه أن أبا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي ليطأن
رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على
عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا
كدت أهوي فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال
صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم أنزل على النبي صلى الله
عليه وسلم كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبي أدركه يوم
حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس
أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع إلي شواظ من نار
أسرع من البرق فوليت هاربا وأحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على
صدري وهو أبغض الخلق إلي فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن
فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة
لأوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك
قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما
رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل
وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له أنا أشغل عنك
وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت
أن أضربه إلا وجدتك بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له تعالى أن كثيرا من
اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على

ههنا ختام الجزء الاول من نسخ الشفا واول الجزء الثاني هذا الفصل

قبله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيهم امره ومن ذلك نصرته بالرعب اصابة مسيرة شهر
كما قال صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه
به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه
وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة
والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم
وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في
كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى
الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها
والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى
المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على
محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر به من الجاهلية اذا سمع ما يدعو
اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات
وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب
والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله
عليه وسلم فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر
وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما
روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة حوض البدن والعروق اليها
واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله خير
ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبعة عشر
وتسعة عشر واحد وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملا ابن آدم

وعاء

وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد عشرة
تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة
وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله
حمير راس العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر فان الحسنة بعشر امثالها
فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله وهو بموضع نعم موضع
الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث
الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له
الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله
ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم
كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم
بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه سنه وهي
حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة
اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا
ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة
اهلها عمره ولا يقوم به ولا ببعضه وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرا
ولا يعرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه
الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها

والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال
بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
ولا سبيل الى جحد الملحد بشئ مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع
ما نصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم
بقوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان الفارسي او العبد الرومي وسلمان
انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الايات واما
الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله
بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد كان
سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم
في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم
شئ من مثل ما كان يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شئ من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده
ودووب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به
ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق
به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا
في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها التعليم
القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله لهم مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجئ ما اتى
في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا لكل امر

غيهب

غيهب **فصل** ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته انباؤه
مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه
لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية وقال
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال اذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم اني ممدكم الآيتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
الآية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو الليث السمرقندي قال
اخبرنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا
مسلم قال حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي قال حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني رض انه
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى من آيات ربه الكبرى قال راى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وميكائيل
وغيرهم من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسرى
مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه
جبريل عليه السلام في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان وراى ابن عباس
واسامة وغيرهما رض عنهم جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره
جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع
بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤوس من الكفار
ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان بن الحرث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين
وراى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن
مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان
مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد
من المصنفين عن عمر بن الخطاب رض انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل
شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله عليه وسلم نغمة الجن
من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده وفي

ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره
صلى الله تعالى عليه وسلم عليه فقال له عمه ما بالك فقال
انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له صلى الله تعالى
عليه وسلم بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة رضى الله
تعالى عنها ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه
صلى الله تعالى عليه وسلم فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها
انه رأى ذلك منذ خرج معه صلى الله تعالى عليه وسلم
فى سفره وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره
قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وانيعت هى واشرفت وتدلت
عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته
وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة
من رياض الجنة وتخيير الله تعالى له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه فى بعضها
واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله ونداهم الذى سمعوه ان لا
تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روى فى تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته
الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حياته وموته كاستسقاء عمر
بعمه وتبرك غير واحد بذريته **فصل** قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة
وفى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا
من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث
وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو
تقصى ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا

اظهر

الى هنا ختام نصف الكتاب

نسخه بسم الله الرحمن الرحيم قال القاضى الخ

سائر

اظهر من معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند
نبينا عليه السلام مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته
فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله
تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض الائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر او آية فى قدرها وذهب
بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
الائمة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم
به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففى القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك
الكوثر ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه
كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا
العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم وجوه الاعجاز الاخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من
الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر
التى ذكرناها توجب التضعيف بهذا فى حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد
معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه
عليه السلام فى هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله تبلغ نحوا من هذا
الوجه الثانى وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم
اهل زمانهم وبحسب الفن الذى سما فيه قرنه فلما كان زمان موسى عليه السلام غاية
علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق
عادتهم ولم يكن فى قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اغنى ما كان الطب
واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت
وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء

تم

ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة
والشعر والخبر والكهانة فانزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة
والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن اخبار
عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضماير فتوجد على ما كانت ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي
تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث
الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا
المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه
ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر من الغيوب على هذه السبيل
فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد
طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وساير معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزات نبينا لا تبيد
ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله
حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحاه الله الي وارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند
بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا
الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر ثالث من ظهورها بكونها وحيا
وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد

رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام
ليس للحيلة ولا للسحر ولا التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره
من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض
الخفي عليه ويعضي ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت ممكنة في
مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
عليها وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم
او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال
وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين
آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من
جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا
ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها
فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك مزية
معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق ما بين
من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان
يمنع الله الخلق القيام عن الناس مع قدرتهم عليهم وارتفاع الزمانة عنهم
فلو كان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء
وجه ظهور آيته على ساير ايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة
افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم
يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم
فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا

عبد الله
انس
بل

المسيح مع اجماعهم على صلبه وقتلوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات
الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه
ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى
واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها
يعترف بالصانع وانها كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن
بالله ووحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا
اباءهم وابناءهم في نصرته وآتي في معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه
زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا وظهورها ما
يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه افضل الصلاة والسلام

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رض وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة
ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله
عليه وسلم

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته اذا
تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى
به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته الآية فالايمان بالنبي محمد عليه السلام واجب
متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال تعالى ومن لم يؤمن بالله
ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو بكر الخشني الفقيه بقراءتي عليه
قال حدثنا الامام ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه حدثنا
ابن سفيان حدثنا ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا
روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رض عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

نسخة اول النصف الثاني ونسخة بالبسملة ايضا

ومحبته صح

٦٧

صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا
بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضي ابو الفضل والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة
الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة
بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر
امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي عليه السلام ان تشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان قال ان تؤمن
بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به عليه السلام يحتاج الى
العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحالة
المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب
وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم
انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ايمان
ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة
اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظاهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث
عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت
عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من
الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما
ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف
فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة

هذا موضع الايمان والاسلام

من ايمان فلم يذكر شيئا في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك
غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثاني ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم
ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا
اختلف ايضا فيه فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اللسان اذ
الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان
وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق
لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته
وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب
وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله
تعالى **فصل** واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجب طاعته
لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى
اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب
واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه وقال
المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل
الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع
الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الايمان فقال وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في
سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة
له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف

حدثنا

منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي ولما بلغ معاوية ان
كابس بن ربيعة يشبه رسول الله فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره
وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب لشبهه برسول الله وروي ان مالكا
لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس
فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل عن ذلك فقال
خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي
وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط
عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر
وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله ولان اخر من السماء
الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله اذا رايتم آية
فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن
مولاة رسول الله ويقولان كان رسول الله يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى
الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا
مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة
حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم
ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل مثل ذلك فيما كان بينهم
من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم احسن المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احدا
منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى
محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من
المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله الاية حدثنا القاضي ابو علي قال حدثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا
حدثنا ابو يعلى قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا الترمذي

كابس هذا هو ابن ربيعة بن مالك
من بني سامة بن لؤي
البصري

لان جعفر هذا ابن سليمان بن علي بن عبد الله
ابن عباس ومالك هو ابن انس
وغضب جعفر عليه لاجل
المبايعة له

قال حدثنا الحسن بن الصباح قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك
ابن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله
مثل اصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا
تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
لا تسبوا اصحابي فلو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من
سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على
جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض
عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في
فيء المسلمين حق ونزع آية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الآية وقال من غاظه
اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك
خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان
فقد استضاء بنور الله تعالى ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو
مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى
يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي عليه السلام قال ايها
الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن
عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها
الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري
واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للمعافى بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال

لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي
الله عز وجل واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه
الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم قال من حفظني في
اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد
قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين
يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره
الله تعالى وامر النبي عليه السلام بموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد
من اصحاب محمد الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن برسول الله من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام
مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف
به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم — هو مؤذن قبا
رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي
احلقها وقد مسها رسول الله بيده وكان في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من
شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل
لما تضمنته من شعره رسول الله لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين وروئي
ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول الله من المنبر ثم وضعها على وجهه فما يلي شعره
ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله تعالى ان اطأ
تربة فيها رسول الله بحافر دابة وروي انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده
فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل ذلك الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي
الا على طهارة منذ بلغني ان النبي عليه السلام اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال

تربة المدينة ردية يضرب ثلاثين وامر بحبسه وكان له قدر وكان اخوه
الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله بزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه عليه السلام
قال في المدينة من احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وقيل ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي عليه السلام من يد
عثمان وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الآكلة في ركبته
فقطعها فمات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبري كاذبا فليتبوء
مقعده من النار وحدث ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زايرا وقرب من
بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ، ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ،
فؤاد العرفان الرسوم ولا لبا ، نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ، لمن بان عنه
ان يلم بنا ركبا ، وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول انشا
يقول متمثلا ، رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ، قمر تقطع دونه الاوهام ،
واذا المطي بنا بلغن محمدا ، فظهورهن على الرجال حرام ، قربتنا من خير
من وطئ الثرى ، فلها علينا حرمة وذمام ، وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق ياتي بيت مولاه راكبا ولو قدرت ان امشي
على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله
وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ، ومساجد صلوات ، ومشاهد الفضايل
والخيرات ، ومعاهد البراهين والمعجزات ، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ،
ومواقف سيد المرسلين ، ومتبوا خاتم النبيين ، حيث انفجرت النبوة واين فاض
عبابها ، ومواطن مهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ، ان تعظم عرصاتها
وتتنسم نفحاتها ، وتقبل ربوعها ، ايا دار خير المرسلين ومن به ، هدى الانام
وخص بالآيات ، عندي لاجلالك تعظيم وصبابة ، وتشوق متوقد الجمرات ،
وعلي عهد ان ملأت محاجري ، من تلكم الجدران والعرصات ،
لاعفرن مصون شيبي بها ، من كثرة التقبيل والرشفات ،

لولا العوادي والاعادي زرتها ، ابدا ولو سحبا على الوجنات ، لكن ساهدي
من حفيل تحيتي ، لقطين تلك الدار والحجرات ، ازكى من المسك المفتت
نفحة ، تغشاه بالاصال والبكرات ، وتخصه بزواكي الصلوات ،
ونوامي التسليم والبركات **الباب الرابع** في حكم الصلاة عليه
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي
وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة
الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد
ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه وقال القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي عليه
السلام تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه
عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل
على انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر
ابن بكير نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي
معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلامة مصدرا
كاللذاذة الثاني السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون
هنا السلام اسم الله تعالى الثالث السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت ويسلموا تسليما **فصل** اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض على الجملة غير محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الآية العلماء على
الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب
وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به
الحرج والفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب

فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن
اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره
مع القدرة على ذلك قال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان
يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر
المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجب
في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل
العلم الى ان الصلاة على النبي فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة وان من
صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها
الذي امر الله به ورسوله هو في الصلاة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة
واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي في التشهد غير واجبة وشذ
الشافعي في ذلك وقال من لم يصل على النبي من بعد التشهد الاخير وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا
سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسالة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة
وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان
لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته
مجزية له في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب
الراي وغيرهم وهو قول جملة اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة
وان تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها الاعادة واوجب
اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن
المواز ان الصلاة على النبي فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرايض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد ابن المواز يراها
فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها
ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب
الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسالة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة

وهو

وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها
ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع
الناس عليه هذه المسالة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو
الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي وكذلك كل من روى التشهد عن
النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى
الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي وقد قال ابن عباس وجابر
كان النبي يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن
عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على
المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة
او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث رواية هذا الحديث وحديث
ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها
علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد
ابن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي ولا على اهل بيته لرايت
انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى
الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل
الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا
الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم عن ابي عيسى الحافظ قال حدثنا محمود بن غيلان
قال حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ قال حدثنا حيوة بن شريح قال حدثنا ابو هانئ الخولاني
ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثناء عليه
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله وهو
اصح وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله
منه شيء حتى يصلى على النبي وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى ال محمد وروي
ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على محمد النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد

لا صلاة

٧١

احدكم ان يسال الله شيا فليبدا بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني
كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج
الى شربه شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه
وآخره وقال ابن عطا الله للدعا اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق
اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على النبي
محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعا بين الصلاتين على لا يرد وفي حديث اخر كل دعا
محجوب دون السما فاذا جائت الصلاة على صعد الدعا الى السما وفي دعا ابن
عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعاي ثم يبدا بالصلاة على النبي
ان تصل على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك
اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند
الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره
ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب
وقال لا يصلي عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن
القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر
الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله تعالى صلى الله على محمد لم تكن تسمية له
مع الله وقال اشهب وقال لا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم استنانا
وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي عليه السلام الامر بالاكثار من الصلاة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق
ابن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم
عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك
افضالك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم

شروط الدعا

فيه استنانا اي استحسانا

قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال
ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن احد فقل السلام على
رسول الله واذا لم يكن في البيت فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن
علقمة قال اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد ونحوه عن كعب قال اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج ابن
شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل
المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث
اخر القسم ولا اختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على الجنائز
وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم
تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الرسايل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن
هذا في الصدر الاول واحدث هذا عند ولاية بني هاشم فمضى عليه عمل الناس في
اقطار الارض ومنهم من يختم ايضا به الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القسم خلف بن ابراهيم المقرئ
الخطيب رحمه الله وغيره قال اخبرتني كريمة بنت احمد قال احدثنا ابو الهيثم قال احدثنا محمد بن يوسف
قال احدثنا محمد بن اسمعيل قال احدثنا ابو نعيم قال احدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم
اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السما والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول اذا فرغ من تشهده واراد
ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد
ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي
الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السما والارض من الملائكة وبني ادم والجن وقال

في المسجد

مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل** في كيفية الصلاة على النبي
ورحمة الله وبركاته عليه السلام والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه قال
حدثنا القاضي ابو الاصبغ عيسى بن سهل قال حدثنا ابو عبد الله بن عتاب قال حدثنا
ابو بكر بن واقد وغيره قالوا حدثنا ابو عيسى قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى قال حدثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني
ابو حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود
الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك
على محمد كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي
رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد
وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم
صل على محمد النبي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك
ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو الحسن بن ظفر
النحوي بقراءتي عليه قال حدثنا محمد بن عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر
المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن عمرو
ابن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه
علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله وقال عدهن في يدي جبريل وقال
هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى
آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل ابراهيم كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد

عدهن

وعن

٧٣

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته
واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة
الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي
واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ جيشات الاباطيل كما
حمل فاضطلع بامرك لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة
اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة
فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر
الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج
المنير عليه السلام وعن عبد الله بن مسعود قال اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك

امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب
بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته واهل بيته
واصحابه وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
وآته سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهب بن الورد انه كان يقول
في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له
احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه
كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون
لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وآل محمد
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك
حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلاة وتكثير الثنا على اهل البيت كثير والسلام كما
قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي السلام على نبي الله السلام على
انبيا الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته
واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته جا في هذا الحديث على الدعا للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة ايضا
قبل الدعا له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعا للنبي بالرحمة وانما يدعا له بالصلاة والبركة التي تختص به
ويدعا لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يات في حديث صحيح وحجته

قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وان الصلاة عندهم
من الله بمعنى الرحمة **فصل** في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه واعلم
له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث قال
حدثنا ابو بكر بن معاوية قال حدثنا النساي قال حدثنا سويد بن نصر قال حدثنا عبد الله
عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع
سمع عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا كما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى
الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية
وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني فقال من صلى
عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف
عنه عليه السلام قال لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه
ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله
ابن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب قال سمعت النبي عليه السلام يقول من قال اللهم صل على
محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه السلام من
صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن
عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكة
ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله اذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جات الراجفة
تتبعها الرادفة جا الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة
عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان
زدت فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت
وان زدت فهو خير لك قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله

فاجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي
فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك
يصلي عليك الا صلى الله وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد
ابن ابي وقاص قال من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة
وفي بعض الآثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي آخر ان انجاكم
يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا احمد بن ابراهيم
الدورقي قال حدثنا ربعي عن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل
دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم
يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه
وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ
عن ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل
عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك
رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما
فمات مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام ان البخيل الذي اذا ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله من ذكرت عنده فلم يصل

على

عليه خطي به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم
جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله تعالى ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت
عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة
علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام قال من الجفاء ان اذكر عند الرجل
فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلاة
على النبي عليه السلام الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي عليه
السلام قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي عليه السلام الا كان عليهم
حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض
اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه
ما كان في ذلك المجلس **فصل** في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه وسلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا
ابو عمر الحافظ قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو داود
قال حدثنا ابن عوف قال حدثنا المقرئ قال حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله قال ما من احد يسلم
علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن
ابي هريرة قال قال رسول الله من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
اي بعيدا بلغته من احد من الملائكة وارد عليه وعن ابن مسعود ان لله ملائكة
سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة
وعن ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم صلى الله عليه وسلم كل جمعة فانه يؤتى
به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته
علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي
عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه
اسمه وعن الحسن بن علي قال اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله

قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء
الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء
واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من
مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان
فلانا يقول كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي ابو الفضل وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز
الصلاة على غير النبي عليه السلام وروى ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي عليه السلام
وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على
نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء
سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة
ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به
قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى
غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلاة عليه وفيه وعلى
ازواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي وروي عن
ابن عباس كراهية على غير النبي قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى
عبد الرزاق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله
وسلم فالله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث
صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال خذ
من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقال اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وقال النبي عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد

وعلى

في جواز

وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع
والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت
عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب
الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فكان يقول في صلاته على النبي عليه السلام اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل
لان الفرض الذي امره الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم
لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد
الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي
والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر رضي الله عنهم وروى انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا
بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال القاضي والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله
وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى بقوله صلوا
عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم باحسان رضي الله
عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته
الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله
عليه وسلم فيها وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص
قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها
معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار

الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا **فصل** في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهية الاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان الزائر افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة ليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي عليه السلام لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد وقال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول

لعله زيارة المدينة

بلغنا

بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال الي لك حاجة اذا اتيت المدينة ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقريه مني السلام وقال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ابن ابي مليكة من احب ان يقف وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على عمر ثم ينصرف وعن ابن ابي بسيط كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جنبوا برمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيه ركعتين قبل وقوفك وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري

كيفية زيارة الروضة المنيرة واداب داخلها

روضة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر
من الصلاة في مسجد النبي عليه السلام بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قبا
وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج
يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف
بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي
صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي
صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك

آداب من دخل المسجد او خرج منه

وفي رواية فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك
وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين كان الناس
يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملايكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا
خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة قال اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي وليقل اللهم افتح لي
وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل
المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر
او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر
وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون
ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين
او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من
اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها

ولم

ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره
الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا
منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة
والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب
احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفي العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع
التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل
فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة
ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد
ابن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قبا حدثنا هشام بن احمد
الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ قال حدثنا ابو عمر النمري قال
حدثنا ابو محمد بن عبد المومن قال حدثنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود قال حدثنا
مسدد قال حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي عليه السلام كان اذا
دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رض سمع عمر بن الخطاب رض صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين
لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان

يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي
حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي عليه السلام والعلما
كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد
ابن مسلمة ويكره في مسجد الرسول الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة
في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثنا على اختلافهم في المفاضلة
بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه
وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد الرسول افضل
من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان
الصلاة في مسجد النبي افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا
بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة
فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه السلام بتسعمائة وعلى غيره
بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة وعلى ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة
الى تفضيل مكة وهو قول عطا وابن وهب وابن حبيب ومن اصحاب مالك
وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثنا في الحديث المتقدم على
ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله
ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام
افضل من الصلاة في مسجدي هذا بماية صلاة وروى قتادة مثله
فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي
ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد
ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما
هو

هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة
ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد
وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر ومنبري على ترعة من ترع الجنة
قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على ظاهره
مع انه روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال
الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينهما
خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل
انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له
هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال
الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء
والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله
الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال في المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا
او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم
لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله من هو خيرا
منه وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او
معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث
من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت
بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس

الى قوله آمنا قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من
احدث حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فقال لعله حج
ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عز وجل عند الركن
الاسود الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف
المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الآمنين
قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك ابو العباس العذري قال
حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي قال حدثنا الحسن بن رشيق قال
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
يقول سمعت رسول الله يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له
قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول
الله الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال
الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان
الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي
قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا

اسم مكان

اسم قبيلة من البربر

فلم تعمل به صح

وانا

٨٠

وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الآخرة قال العذري وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب
لي قال ابو علي وانا فقد دعوت فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو
من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل قد
ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبل حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه

قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الآية وقال وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي
الآية فمحمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الانبيا في صورة البشر الذين يمكنهم مخالطتهم
اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته
كالانبيا والرسل فالانبيا والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه
ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته
وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طاري عليها
ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفنا ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملا الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة البشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم

ومخاطبتهم ومجالستهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم
متصفة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما طاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم
كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة
الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي
ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها
كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما ياتي به بعد هذا في البابين بعون
الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية والكلام
في عصمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان الطوارئ من التغييرات والافات على احاد البشر لا يخلو ان تطرأ
على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد
واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغيرات
بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على
الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شا الله فيما ناتي به من التفاصيل
فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي
اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك
او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما
وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين القاطعة ان يكون في عقود الانبيا سواه
ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابراهيم
في اخبار الله له باحيا الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء

فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك
من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ
العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة والترقي
من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال
كشف غطا العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج
على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احيا الموتى
وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك وما
شك لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من
ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا
بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحيا الله الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك
منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق
التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان
قلت فما معنى قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب
الآية فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين
عن ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسال ونحوه عن ابن
جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الآية
قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن
عملك الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره

كثيرا اكبر من العالم لا امتراه بقوله ولا تكونن من الذين كفروا بايات الله وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به وهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره
ومثل هذه الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المامور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل
النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك
الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما
دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسال من ارسلنا من
قبلك الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل

الاندلسي المالكي صاحب العتبية من اكابر الفقها

معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من
دون الرحمن الى اخر الآية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا ليلة الاسرا عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج
الى السؤال فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم
من ارسلنا هل جاوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك
وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه بما بعثت به الانبيا وانه تعالى لم ياذن
في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في اول الآية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى
يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الآية افغير الله ابتغي
حكما وان النبي عليه السلام يخاطب بذلك غيره وقيل تقرير كقوله أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما
كنت في شك فسال تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك وقيل ان
كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسالهم عن صفتك في الكتب
عندهم ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك
من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استياس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا على قراة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة معاذ

الله

٨٢

الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا ظنوا
ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في
ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبيا والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي
وابن جبير وجماعة من العلما وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك
من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلما فكيف بالانبيا وكذلك ما
ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما اتاه من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة
الملك واعبا الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد
لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقاه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة ولقاه اول
ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبداته المنامات والتباشير كما روي في
بعض طرق هذا الحديث وان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك
تانيسا له لئلا يفجاه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله اول حاله بنية البشرية
وفي الصحيح عن عائشة اول ما بدي به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ثم حبب اليه
الخلا وقالت الى ان جاه الحق وهو في غار حرا الحديث وعن ابن عباس مكث
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضو سبع سنين ولا يرى شيا
وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي عليه السلام قال وذكر
جواره بغار حرا فجاني وانا نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا وذكر نحو حديث
عائشة في غطه له واقرائه اقرا باسم ربك الذي خلق قال فانصرف عني وهببت من نومي فكانما
صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا
لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ
سمعت مناديا ينادي من السما يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل
لقا جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره واصطفائه له
بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء
وقد خشيت ان يكون والله هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي عليه السلام قال لخديجة

انى لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بى جنون وعلى هذا يتاول لو صح
قوله فى بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها
معانى الشك فى تصحيح ما راه وان كان كله فى ابتدا امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله
له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له
ولقاء الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحق
عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه
نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث
خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما كان ذلك فى حق خديجة
لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها
فعلت ذلك للنبى عليه السلام وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد فى حديث عبد الله
ابن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر
خديجة ان تختبر الامر بذلك وفى حديث اسمعيل بن ابى حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما
جاء جبريل اخبرها فقالت اجلس الى شقى وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت
ما هذا الشيطان هذا الملك فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل على انها
مستثبتة لما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبى صلى الله عليه وسلم وقول
معمر فى فترة الوحى فحزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كى يتردى من روس شواهق الجبال لا يقدح هذا فى الاصل لقول معمر عنه
فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبى صلى الله عليه وسلم
قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبى عليه السلام مع انه قد يحمل على انه كان
اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى
هذا التاويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله
ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور فى شان النبى عليه السلام واتفق
رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه وتدثر

فيها

فيها فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب
منه فخشى ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع
بالنهى عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه
لما وعدهم به من العذاب وقول الله سبحانه فى يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر
عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكى طمع فى رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه
فى خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه
وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وقيل نواخذه بغضبه وذهابه وقال
ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن
بنبى ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة
الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا تليق بالمومنين فكيف بالانبياء وقيل
مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد فى الخبر وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبى آخر فقال
له يونس غيرى اقوى عليه منى فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن
ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه
ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه
ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبى فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفى طريق
اخر فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين
وسوسة او رينا وقع فى قلبه عليه السلام بل اصل الغين فى هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله ابو عبيدة واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها
وقال غيره والغين شىء يتغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذى
يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة
مرة او اكثر من سبعين فى اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه وهو اكثر

الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين
اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة
الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة
الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء واداء الرسالة
وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى
الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت
حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
ارفع حاليه رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علو
حاله وخفضا من رفيع مقامه واستغفر من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب
ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني
على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي
وذهب طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة
الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه
السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره
صلى الله عليه وسلم عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطا استغفاره وفعله
صلى الله عليه وسلم تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعرون الحذر
ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة لعبوديته كما قال صلى الله عليه وسلم
في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة
يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم
اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى لنوح عليه السلام

فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم ثبتك الله
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تكونن
ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان
وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين وليس في
آية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
وآية نوح عليه السلام قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما
قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء
فنهاه الله ان يسأله عما طوي عنه علمه واكنّ من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله تعالى نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الآية
الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عن ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله
عليه وسلم اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي رضي وقال مثله في القرآن
كثير فبهذا الفصل اوجب القول بعصمة الانبياء عليهم السلام منه بعد النبوة
قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك
فما معنى اذا وعيد الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره
منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن الآية وقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين وقوله فان يشأ الله
يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته فاعلم وفقنا الله
واياك انه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه وان
يشرك وان يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه

او يطيع الكافرين لكن يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين
وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب بنفسه وقوى قلبه بقوله
تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا لتشتد بصائرهم في
الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول
علينا بعض الاقاويل وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
فالمراد غيره كما قال تعالى ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله تعالى فان يشا الله
يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك الاية وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه
حال من اشرك والنبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع
الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم وما كان طردهم عليه الصلاة والسلام وما كان من الظالمين

الفصل الثاني واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف
والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكيك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا بتنزيههم عن هذه
النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف
ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا
ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ او اصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله تعالى عليه ونقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتقريعه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك
مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل
افظع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي
اطباقهم عن الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما

سكتوا

سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري رحمه الله على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وبقوله تعالى واذ
اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره في
الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به
ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه
الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا
كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر
والشمس هذا ربي فانه قد قيل هذا كان في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا
لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا
ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى اذ
قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
قيل انه ان لم يؤيدني بمعونتك اكن مثلكم في ضلالكم فان قلت فما معنى قوله تعالى
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن
الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل
عليك لفظة العود بانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد
تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء
في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعد ابوالا وما كان قبل ذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك

ايهما قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى وقال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن
ابن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطا ووجدك ضالا
اي محبا لمعرفتي وههنا الضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي
محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين ولو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
ومثله عند هذا قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد
ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك
فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين
الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين
وقد قيل ذلك في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال ان
تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكير القاضي نحوه قال ولا الايمان
الذي هو الفرائض والاحكام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وكذلك الحديث الذي
يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم

قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام
فلم يشهدهم بعد هذا فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث
بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت الي الاصنام وقوله صلى
الله عليه وسلم في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه واله في حضور
بعض اعيادهم وعزموا عليه بعد كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا
فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك
لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله صلى الله عليه وسلم في قصة بحيراء
حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في
سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال
سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وتوفيق الله له
انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان هو
يقف بعرفة لانه كان موقف ابراهيم صلى الله عليهما وسلم

الفصل الثالث

قال القاضي ابو الفضل رض قد بان بما قدمناه عقود الانبياء عليهم السلام
في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما
ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا
على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا على ما
لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه
وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع
اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه
المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط في حق

الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبيا ببعضها او اعتقادها على خلاف
ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا فانه يودي الى
الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم
العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبيا عليهم السلام وسيرهم في هذا
الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق
بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا
يخلو ان يكون حصل عنده ذلك بوحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شي على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث ام سلمة اني انما اقضي بينكم برأي فيما لم ينزل علي فيه خرجه
الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا
ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا صحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى
خلاف من خالف فيه لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا
ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في
الاجتهاد في الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار
الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي ولم يشرع
له قبل هذا فيما عقد عليه قلبه فاما فيما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية
فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيا شيا حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر
الوحي في كثير منها ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده
عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء

الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشي من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة
اليه اذ لا تصح الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض
وخلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة
واحوال السعداء والاشقيا وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من
انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه
لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع
البشر لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر على
قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وكقول موسى للخضر عليهما السلام هل
اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك باسمائك الحسنى ما
علمت منها وما لم اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسالك بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت
به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى
ينتهي العلم الى الله وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية

والمعارف الالهية ٢ خ

فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي عليه الصلاة والسلام من الشيطان وكفايته
منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ
ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا
ابو الحسن الدارقطني حدثنا اسمعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة
قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور
فلا يامرني الا بخير وعن عائشة بمعناه وروي فاسلم بضم الميم اي فانا اسلم منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال
الكفر الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على بني ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت

لانار بتعدي الشيطان في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واهانة نفسه وادخال
شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته واخذه
النبي صلى الله عليه وسلم فاسره ففي الصحاح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ان الشيطان عرض
لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فذعته
ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان
رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر
نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا
ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى اعدائه كقضيته مع قريش في الايتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة بدر
في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر
بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تعالى امره وعصمه ضره وشره
وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده في خاصرته
فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما
معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض
المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك
غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك
ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه
او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له اليه سبيل
ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من
التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح

ان

ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها
والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك
صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فاعلم ارشدنا الله واياك ان للناس في
معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين ان التمني هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر
واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل
غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع
من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان
على ملك سليمان عليه السلام وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له قال ابو محمد
مكي رض في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا
يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم وقال مكي رض وقيل ان الذي اصابه
من الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه
وقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به
شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام
قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او
فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم
يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه
انما نبئ بعد موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران

موته صح

وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان
قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي
انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان هذا من فعل الشيطان ليس
فيه تسلط على يوسف عليه السلام ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
باموراخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا وقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا
واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه
كما يهدى الصبي حتى نام فاعلم ان الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل
بصلاة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك
الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في
هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله صلى الله عليه وسلم
فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه
البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا او عمدا
ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه
على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني
ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك
وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
رحمه الله ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره
فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه
خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه
من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضا والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال
نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا

وارد

والرد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على
صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا وان المعجزة قائمة
مقام قول الله له صدقت فيما تقوله عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح
ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط
والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه
جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا
واجماعا كما قال ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات
منها ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرا والنجم وقال افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى
ترتضى وفي رواية وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا وفي اخرى
والغرانيق العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون
والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها
على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه
وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك الآية اعلم اكرمنا الله واياك ان لنا في
الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما
الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل
غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث
قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف
نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه

قراها خ

في الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر
يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدثته نفسه فسها وآخر
يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل
قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة
ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها
إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي
بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله بإسناد
متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله تعالى أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه
وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه
كما أشار إليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو
بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق
النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح
آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل
فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه
وسلم أو يقول النبي عليه السلام من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو
معصوم من هذا كله صلى الله عليه وسلم وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا وأن يتشبه
عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان أو أن يكون للشيطان عليه سبيل وأن يتقول على
الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض

الاقاويل

٥٦

الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه
واتسع في بنيان البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث أنه قد علم من
عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام
لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة
الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود
عليهم الحجج كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة
وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة اعلم من هذه البلية لو وجدت
ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض
مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية
أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر
الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن
ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته
حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه
زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم افتريت على
الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهو يضعف الحديث
لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من

خ في باب البيان

لعله اعظم

شئ وقد روي عن ابن عباس رض كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله
تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل
قال القاضي القشيري رضه ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل
بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية الا ان الله
امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده الكفار وراموا في فتنته ومرادنا
من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية واما المأخذ الثاني فهو
مبني على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي عن قتادة
ومقاتل ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه
في نوم ولا يقظة للعصمة في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول
الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك
قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله صلى الله عليه وسلم لا سهوا
ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله
اثناء تلاوته على تقدير التقريع والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي
على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل
بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة
تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روي انه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل هذا فيها غير ممنوع
والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا

في

في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه
فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يسمعه من دنى اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم
من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن
عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان
ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب الى النبي غلط
ولا وهم وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما كتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف آلهتهم ويسميها في ذلك كيف شاء ويكون ما روي
من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد
قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى التمني تلا قال الله
تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي
يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرا فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية انه
حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو عن اسقاط
آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما
سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله ايضا
ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا
لا يبعد ان هذا يكون قرآنا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك
ان الكفار كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا ورجاء
الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم آياته
ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من

تمنى

كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة يضل به
من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان
فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله
لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية وبين
للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن واحكم اياته ودفع ما
لبس به العدو كما ضمنه تعالى بقوله انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب
فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس
في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلكهم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه
لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب
الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلايل العذاب ومخايله قال ابن مسعود
وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما
معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان
يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول
له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت
ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت

وفي

وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد
فكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع
في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف
بكافر قد افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم العقل يشتغل
بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله
ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما
قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها له
فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا
ما سمعه عن ثابت قال القاضي ابو الفضل رض ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل
الصحة حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس
الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من
قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها
قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز النسيان والغلط
عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه
لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم وكتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول عليه السلام قبل اظهار
الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف
اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام الحسن الى ما يتم به ولا
يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله
عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الاي وجهان
وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملا احدهما وتوصل الكاتب بفطنته

قدمنا فصوبها

ومعرفته بمقتضى الكلام الآخر قبل ذكر النبي لها كما قدمنا فصوبها
له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد
ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف
مثل قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق
ويقض وكل هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي عليه السلام غلطا ولا وهما وقد قيل
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن
فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ
واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه
فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في
حال رضاه وفي سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم
الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن
اي شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا
استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن
ابي الحقيق اليهودي على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحتج عليه بقوله كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت
هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره
وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء
منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شيء
اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام ورجوعه عما اشار به على

الانصار

تلقيح

الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذي
حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ
الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا مما يشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع
اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو
على اي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا ولهذا
ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع
ويستشنع مما يخل بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة لذلك واما فيما لا يقع هذا
الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب
تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة
فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد
ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما
ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به في
امورهم واحوال دينهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر القلوب عن
تصديقهم بعد وانظر احوال اهل العصر للنبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها
من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وبعد وقد
ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه
فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق
ابراهيم بن جعفر قال اخبرنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل حدثنا حاتم بن محمد حدثنا
ابو عبد الله بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين
عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى عليه السلام صلاة العصر

دنياهم

فسلم من ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفي رواية اخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت الحديث بقصه
فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كانت احدى ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف
ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد
لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول
تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه
نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول
كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار
القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن
اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به
وهذا صدق وجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا
وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد
وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من
قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ
خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهي قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما
رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف
الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي
عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس
انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت
كذا ولكنه نُسّي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسّى فلما
قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان
جرى شيء من ذلك فقد نُسّي حتى سأل غيره فتحقق انه نُسّي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم انسى

ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نُسّي ووجه
آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى
ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل
بال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن
في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول وعندي ان قوله ما قصرت ولا نسيت معنى
الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا
لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لا انسى او انسّى لاسن واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام
المذكورات في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني
سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله
ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض
التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل
بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما شاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل
كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو
خبر صحيح صدق وقيل بل عرّض بسقم حجته وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي
كانوا يشتغلون بها وانه اثنا نظره في ذلك وقبل استقامة عليهم في حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره
كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب
والشمس والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه
علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه
وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال

فانك اخى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون اخوة فان قلت
فهذا النبى صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات
وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه تكلم بكلام صورته صورة الكذب
وان كان حقا فى الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم من المواخذة بها واما الحديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف فى القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ
عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن مواضع اخر والبحث عن
اخبارها والتعريض بذكرها لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله
عليه فى ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك
وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع فى هذا الحديث من بعض
طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان خبره قد انبا
الله انه ليس كذلك فاعلم انه قد وقع فى هذا الحديث جوابه على علمه فهو خبر صدق
وحق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما
لو صرح به لان حاله فى النبوة والاصطفاء يقتضى ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا
عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه
وظايف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم
منه بامور اخرى مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى
خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله
تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملايكة لا علم لنا الا ما علمتنا ولانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله من تزكية نفسه وعلو درجته من امته
فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى
والدعوى وان نزه عن هذه الرذايل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك ليلها

لامن

لامن عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام تحفظا
من مثل هذا مما قد علم به انه سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القايلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولى اعلم من النبى واما الانبيا
فيتفاضلون فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى ومن قال انه
ليس بنبى قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبى آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه
كان فى زمن موسى عليه السلام نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار
فى ذلك ما يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم انما هو على الخصوص فى
قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما
الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا التعليم **فصل** واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا
يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبيا من الفواحش والكباير الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك
الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها غيرهم بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك يقتضى العصمة
منه بالمعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قايل بانهم معصومون
من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم لا كسبهم الا حسين النجار فانه قال لا قدرة
لهم على المعاصى اصلا واما الصغاير فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على
الانبيا وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد
بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طايفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل
وقوعها منهم ولم يات فى الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طايفة اخرى من
المحققين من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا
لاختلاف الناس فى الصغاير وتعيينها من الكباير واشكال ذلك وقول ابن عباس
وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغيرة بالاضافة الى ما

مط حجة القائلين بنبوة الخضر عليه السلام

مط قول الجمهور فى العصمة وقول العصبى

مط من قال بالوقف عن القطع

تحقيق القول في العصمة

هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد
عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب
الكباير ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله وهو قول القاضي ابي بكر رحمه الله وجماعة ايمة
الاشعرية وكثير من ايمة الفقهاء قال القاضي ابو الفضل وقال بعض
ايمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكباير ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت
الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبيا اجماعا لان مثل هذا يحط
منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبيا منزهون عن ذلك بل
يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح
الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل

الاستدلال على عصمتهم عليهم السلام عن الصغاير ايضا

بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي
وابي حنيفة على ذلك من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا

اختلاف الايمة

وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طايفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به
مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغاير
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من
القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يومر المرء بامتثال امر لعله
معصية لا سيما على من يرى من الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
ويزيد هذا حجة بان يقول من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيا فسكت عنه
النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في

نفسه

استدلال اخر على العصمة من المكروهات

نفسه وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد
علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت
وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا
بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة
بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها
اني اقبل وانا صايم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه وقال يحل الله لرسوله
ما يشاء وقال اني اخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم

جواز وقوع الافعال المباحة منهم عليهم السلام

من ان نحيط عليها ولكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداهم
بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق ذلك ولنقل عنهم وظهر
بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباح
فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا له من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة
لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار
قربة كما بينا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام
فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى ساير انبيايه عليهم السلام

عصمتهم عليهم السلام قبل النبوة وذكر اقوال العلماء في ذلك

بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة
فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله تنزيههم عن كل
عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسالة تصورها
كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف

الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع
قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين
بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى الائمة القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع
وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان
من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر لذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع من ذلك
ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا
هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى
بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك
اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها في احدهما
طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل تعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم
اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم
وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب
في هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعدها اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام
ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخر في
قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم في

التوحيد

٩٧

التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى
فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من
يقول انه ليس برسول وقد سمى الله جماعة منهم في هذه الاية شرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في ساير
الانبيا غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في
كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن
قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق
حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو
ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو
والنسيان في الوظايف الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به
وترك المواخذة عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة به وكونه ليس
بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير
الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه
وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة
من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا وكذلك
قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى
القول من جهة التبليغ والادا وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد
هذا والى هذا مال الاستاذ ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الى ان
المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه
جايز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين ذلك وبين
الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك
يناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة

بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة
النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع
كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست
انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة في التبليغ وتمام عليه
في النعمة بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان القايلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله
عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع
فيه فالاكثر من طبقات علما الامة على جواز السهو والغلط عليه
فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعدا ولكن
ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شي يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات في حقه جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم
القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا
ان شا الله تعالى **فصل** في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه
عليه السلام قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو صلى عليه
السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا
واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة
في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين
في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين

الثالث

الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه
الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن
به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه ان لا
يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة الحكمة فيه كما
قدمناه فان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة
ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا
نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت
اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لا انسى او انسى لاسن
قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب
ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله
قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه اي اني انسى في اليقظة وانسى في
النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشي والسهو او انسى مع اقبالي
عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن
نفسه اذ هو كالمضطر فيه وذهبت طايفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي عليه السلام
كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وافة قال والنبي صلى
الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن
حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية
الاخرى اني لا انسى وذهبت طايفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام
كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه
بطايل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه
امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى وقد اثبت
احد الوجهين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم
انسى كما تنسون وقد مال الى هذا جمع عظيم من المحققين من ايمتنا وهو
ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة
لهاتين الطايفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي

حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة نفيه كقوله بئس ما
لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي ونفي الغفلة وقلة الاهتمام
بامر الصلاة من قلبه لكنه شغل بطاعة عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك
الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو وعنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات
الظهر والعصر والمغرب والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير
الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب
الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له
فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلاة يوم الوادي وقد
قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة
منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات
وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا
التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما
يكون لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع كما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن
اراد ان تكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرق النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه عليه السلام كان محروسا
وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا
يتوضا وحديث ابن عباس رضي الله عنه المذكور فيه وضوءه عند
قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على
وضوءه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل ولحدث اخر فكيف
وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضا وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي
الا نوم عينيه عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام

ان الله

٩٩

ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان
قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل في الجواب انه كان شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر
لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعات
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى
نهيه عليه السلام عن قول نسيت وقد قال اني انسى كما تنسون واذا نسيت
فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله
انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت كذا فمحمول
على ما نسخ بعد حفظه من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن
الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وما كان من سهو وغفلة
من قلبه فذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم
على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق
الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من هذه
الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز
ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ كتاب الله وتكليفه
بالابلاغ فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغاير والكلام على ما احتجوا
به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا من الفقها والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القران
والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكباير وخرق الاجماع
وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه
وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها السلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا

حفظ الله كتابه

به قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شا الله فمن ذلك قوله تعالى
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك وقوله عفى الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاه الاعمى الاية
وما قص من قصص غيره من الانبيا كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله
فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية
وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة
داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى
قوله ماب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله
عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقوله
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت
ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبيا في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله عن نوح الاية والا تغفر لي وقد كان قال
الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله
ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب
وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك
بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل
المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي

والسلمي

نسخة
قال القاضي رحمه الله
فاما

والسلمي عن ابن عطا ومثله والذي قبله يتاول قوله واستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ههنا هي
مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل
بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر الاية وبمال المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك
مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرية من
العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل المراد معناه
انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهره حكى معناه
السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعبا الرسالة حتى بلغها حكاه
الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل
ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى
معناه القشيري وقيل معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظ
وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة
اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل النبوة وحرمت عليه بعد النبوة فعدها
اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب
لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه
من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما
قوله عفى الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة
وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه من ذلك بل كان
مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشا فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من
سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا
ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل

والرفق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال
وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال
ومعنى عفى الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها تكرمة له

لنسخة
قال الداودي وروي
انها كانت تكرمة
له

قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان
معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى
حتى يثخن في الارض الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه
بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما
معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك
منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي
عمر ان تعطف عليهم العدو ثم قال الله تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد
النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد
هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا كنتم مومنين بالقرآن وكنتم ممن
احلت لهم الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح
المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل
ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفدا
على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل
على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه ولكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا

على

على ذلك وتبين لهم ضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة
الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ باخذه في اعزاز الدين واظهار
كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر
ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك
عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي رض وخرج هذا الخبر اهل الصحيح
وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له
من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك
عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن
الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار و
تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات فليس فيها اثبات ذنب له
عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب والاولى له كان
لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل من تصديه
لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية
ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده
والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر
الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى
فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن
تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله فعصى آدم ربه فغوى اي جهل

وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له
وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي
ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه
فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما
اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي
عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا
للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله
سكرانا وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم يكن معصية وكذلك ان كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج
الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان
يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل
اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى
آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل
الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله
تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على
ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال
والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس
فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال

المفسرون

المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في
غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه
عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه
وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي في معناه نزه
ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا
قول آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع
الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود
عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا
ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله
وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد
قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى
السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه وقيل لما احتسبه على نصيبه وظن به من الفتنة بما بسط له
من الملك والدنيا والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب
احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في قصة داود
واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين
اختصما اليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم
فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبيا
قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين
فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين

خ
بسيئة

اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به
وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه
اذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة فلم
يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما مذهب المحققين
من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن
عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما
ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا
ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى حاكيا عن المراة ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء
والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي الاية قيل في تفسير ربي انه الله وقيل الملك وقيل هم بها اي
بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر
اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وذكر بعضهم
ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه
هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى
مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال وكان من القبط
الذي على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوته وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان
وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل حتى يومر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه

وكزة

113

خ
فيه

وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى
التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم
وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من
قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار
ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك
ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث
ليس فيها ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين
الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور
له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عينه تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم اليه وللمتقدمين والمتاخرين
عن هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عينه بحجة
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان وما
حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة
او قال تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه
يعني الملك قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه
حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل
ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان
يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ بذنب فارقه بعض نسائه ولا

يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبيا
عن مثله وان سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة ان شا الله فعنه
اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد
الله والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من
بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي
سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من
الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبيا الله ورسله
بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء
الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا **واما** قصة نوح عليه
السلام فظاهر العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى
انا منجوك واهلك وطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك
لا انه شك في وعد الله فبين الله له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره
وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته
فيهم فووخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسواله ما لم
يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية
غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه في السوال
فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان
هذا الذي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع
المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول
برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه
الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله
انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية

النمل

النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله اليه بذلك
ولا بالتوبة ولا الاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد
الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم في ذنوب ١١٤
الانبيا التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة والله اعلم **فصل** فان قلت فاذا
نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل
المحققين فما معنى قوله تعالى فعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في القرآن والحديث
الصحيح من اعتراف الانبيا بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما
سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شي فاعلم
وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته
في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا
عنها ولا امروا بها ثم وخذوا عليها او عوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة ٢ خ اخذوا
بها واتوها على وجه التاويل والسهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون
وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال
طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشي الدني
الرذل ومنه ذنب كل شي آخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى افعالهم
واسوا ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه في السر
والعلانية وغيرهم يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة الى
هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي
يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظ كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك وقوله
غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اخذ بقوله لاحد
صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين

قيل أنسى يوسف ذكر ربه وقيل أنسى صاحبه أن يذكره لسيده الملك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن
دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك
فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف
ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما
قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم
فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة
غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في
درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استغفارهم واستشعارهم له
سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فهدى وقال لداود فغفرنا
له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك على الناس
وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب
قال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف
وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضا فلينتبه غيرهم من البشر منهم أو ممن
ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع لأهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري
في ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب
الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام وأيضا فيقال لهم فإنكم
ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
في عصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها
وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا على المؤاخذة بأفعال السهو

والتأويل

والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من
الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على
نعمه كما قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبدا
شكورا وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة
والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن
بهم أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأيضا فإن
في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله
قال الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار
والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

فصل

قد استبان أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله
وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا
وإجماعا وقبلها سمعا ونقلا وعقلا ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه
عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته من الكذب وخلف القول منذ
نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا وإجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا عن الكبائر إجماعا وعن الصغائر تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه
للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ولا ينزهه عما لا يجب
ولا يعرف صور أحكامه ولا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه صح
أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل من
النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية
فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني

خشيت ان يقدف فى قلوبكما شيا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى فوايد ما تكلمنا
عليه فى هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا سمع شيا لا يرى الكلام فيه
جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد استبان لك انه متعين للفايدة
التى ذكرناها وفايدة ثانية يضطر اليها فى اصول الفقه ويبنى عليها مسايل
لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشعيب مختلفى الفقها فى عدة منها وهى
الحكم فى اقوال النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول
الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى اخباره وبلاغه وانه
لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا وبحسب اختلافهم فى
وقوع الصغاير وقع خلاف فى امتثال الفعل بسط بيانه فى كتب ذلك
العلم فلا نطول به وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتى فيمن اضاف الى
النبى صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز
وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم فى الفتيا فى ذلك
ومن اين يدرى هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترى على سفك دم
مسلم حرام او يسقط حقا او يضيع حرمة للنبى عليه السلام وسبيل هذا ما قد
اختلف ارباب الاصول وايمة العلما والمحققين فى عصمة الملايكة **فصل**
فى القول فى عصمة الملايكة اجمع المسلمون ان الملايكة مومنون فضلا واتفق
ايمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء فى العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم فى حقوق الانبيا والتبليغ لهم كالانبيا مع الامم واختلفوا
فى غير المرسلين منهم فذهبت طايفة الى عصمة جميعهم عن المعاصى واحتجوا بقوله
تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام
معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طايفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشيا
ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شا الله بعد ونبين الوجه
فيها ان شا الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع

ما

فوايد هذا الكتاب العظيم



١٠٦

ما حط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت بعض شيوخنا
اشار الى انه لا حاجة بالفقيه الى الكلام فى عصمتهم وانا اقول ان للكلام
فى ذلك ما للكلام فى عصمة الانبيا من الفوايد التى ذكرناها سوى
فايدة الكلام فى الاقوال والافعال فهى ساقطة ههنا فمما احتج به من
لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل
الاخبار ونقلة المفسرين وما روى عن على وابن عباس فى خبرهما
وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شى
لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو بشى يوخذ بقياس
والذى منه فى القران اختلف المفسرون فى معناه وانكر ما قال بعضهم فيه
كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترايهم
كما نص الله عليه اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه
وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر فى ذلك ما يكشف
غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالى فاختلف اولا فى هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل
القراة ملكين او ملكين وهل ما فى قوله وما انزل وما يعلمان من
احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم
السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى
انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اى يقولان لمن جا
يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه
سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس
بمعصية وهى لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابى عمران انه
ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن
هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا
خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انهما ماذون
لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلا فكيف

قصة هاروت وماروت

لعله اى يقولان

لا تنزههما عن الكبائر والمعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول
خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير
الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم
في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود
عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال
الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام
ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام
ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان ويكون ما نفيا على ما تقدم وقيل
كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة
فمحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة لا يعصون الله ما امرهم
ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان
الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس
وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو
الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين
طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام
العرب سايغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه من
الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم
فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا
اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد
قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره
خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كاس
الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا

بالاضافة

بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد
مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه
وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ
ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان
والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم
منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في
بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم يكف نبينا
ربه يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف
فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى جبل الثور وامسك عنه سيف غورث
وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه الله ما
هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب
على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم
عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة
الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى والملائكة
لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان عيناي تنامان ولا ينام
قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن
انسى لاسن ليستن بي فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان
الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف
غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام
في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الآثار انه محروس من الحدث في

نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرنا وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك
جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا
يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي
ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر
وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق
به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه
حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسماعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن
ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل
الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان ياتي النساء ولا
ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف
عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع
والنبي عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز
عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه
كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا
وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة
له ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل
اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات
بخبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما
كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله

لكنه

لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على
الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من
معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي
في الحديث ما اوضحناه من معنى مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث
وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه
عنهما سحر يهودي بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بير حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البير وروي نحوه عن الواقدي
عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند
راسه والاخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض النبي
صلى الله عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه
لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطئ نسائه وحبسه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على
اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله
وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه
فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه شخصا
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في
بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا
فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها
المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء
على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا
ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر

ابن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا النضر بن محمد
قال حدثني عكرمة حدثنا ابو النجاشي حدثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وهم يابرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم
تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي رواية
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث آخر انما ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي
حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن
الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه
فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل
بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان
نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فانه
ليس بمنزل انهض حتى ناتي ادنى ماء الى القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من
القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال له الله
وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي
لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ ليس في
هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن
الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن
هذا انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل
عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل واما

خ وفي حديث آخر

ما

ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل
وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون
الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه
فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا ياخذ منه شيا فانما اقطع له قطعة من
النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا
ابو محمد حدثنا ابو بكر حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير انا سفيان عن هشام بن عروة
عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن
بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء
مع مقتضى حكمة الله في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبات
ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة
او يمين او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
واقواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله
به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من
قضاياه لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو
اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة
فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل
المتاول وكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه
وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم الغيب فلا
يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا
يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره

عن حوله واحوال غيره وما يفعله هو وفعله فقد قدمنا ان الخلف فيها
ممتنع عليه في كل حال وعلى اى وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى
او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما
يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجايز
ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط
امته وتطييب قلوب المومنين من صحابته وتاكيدا في محبتهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التى سالته عن زوجها اهو الذى
بعينيه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينيه
بياض وقد قال عليه السلام انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما
ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهى في الامور الدنيوية فلا يصح منه
ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشئ او ينهى احدا عن شئ وهو يبطن خلافه
وقد قال عليه السلام ما كان لنبى ان يكون له خاينة الاعين فكيف ان يكون له خاينة قلب
فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبى صلى الله
عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن
جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن على بن حسين ان الله
تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك
عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد
عن الزهرى قال نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش
فذلك الذى اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان
امر الله مفعولا اى لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله تعالى
لم يبد من امره معها غير زواجه بها فدل انه الذى اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه
به تعالى وقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل

مط
ممازحته عليه السلام

مط
قصة زينب بنت جحش

انه

انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبرى ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اى من النبيين فيما
احل لهم ولو كان على ما روى في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبى صلى الله عليه وسلم عند ما
اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما
نهى عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه الاتقيا
ولا يتسم به الا الاتقيا فكيف سيد الانبيا قال القشيرى وهذا اقدام عظيم من قايله
وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهى
بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه السلام وهو
زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله عليه وسلم اياها
لازالة حرمة التبنى وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث
السمرقندى فان قيل فما الفايدة في امر النبى صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى
في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشى قول الناس يتزوج امراة ابنه فامر
الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في
ازواج ادعيايهم وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا
للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاة واستحسنها ومثل
هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم
قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التى في القصة
والتطويل والتعويل والاولى ما ذكرناه عن على بن حسين وحكاه السمرقندى وهو
قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضى القشيرى وان خشيته عليه السلام من الناس كانت
من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد
نهيه عن نكاح حلايل الابنا كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم
فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله
لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له ههنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه

وقد روى عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية
لما فيها من عتبه وابدى ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه
السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد
ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله
ابن عبد الله عن ابن عباس لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا
فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه
فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله وحسبنا وكثر
اللغط فقال قوموا عني وفي رواية اختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من
يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر **قال** ائمتنا
في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشي ونحوهما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن
في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وهذا لا
يصح على ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا
هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى أهجر على طريق
الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة وفي حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا
ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في
حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام
والتقدير أهجر او ان يحمل قول القائل هجر واهجر على انه دهشة من قائل ذلك وحيرة

ذكر الوصية

ونحو مما يطرأ

لعظيم

لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي
اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى
الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجرا وهي رواية
ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد
يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده ومخاطبة لهم من بعضهم اي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا
بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبي صلى الله عليه وسلم
يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه
السلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة ولما راوه
من صواب راي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون
عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع
وتاسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله
وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل انه كان من النبي
صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك او يختلفون فلما
اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في
هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول

العباس لعلي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني فان الذي انا
فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم وكتاب الله وان تدعوني
مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل

فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراءتي عليه
حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابي سعيد
عن سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا
لن تخلفنيه فايما مومن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة
وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة
وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة ورحمة كيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
او يفعل مثل ذلك وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله
اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما
قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما
اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورافته ورحمته
بالمومنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا عليه دعوته ان يجعل
دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه
الضجر على ان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من
قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان
الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه وانه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان
مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه وقد يحمل على انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم
امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن

خ حمله

دعواته

دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك
وعقرى وحلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه
السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول
لاحدنا عند المعاتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم
اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان
يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه
وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان
يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن
اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق
يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى
يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع في نفس مسلم
منه في هذه القضية امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى
الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر
ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على
هذا الحديث باب اذا اشار الحاكم بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث
فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث
اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه
ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه حكمه في حال
الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان

لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة
من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال
له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر مع
الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله
عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ
كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي عليه السلام
وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في
بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام
لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع
لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه السلام الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط
في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ
عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته وما
يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او
بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او
مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك
الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ

وكذا

وكذلك عليه السلام في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته
وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية للخلاف فيها
وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد
يفعل هذه الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيها كخروجه من المدينة لاحد
وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امورهم مؤالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في [كما]
الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم
للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى
مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت
ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه
حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس
بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان
لنبي ان تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس ابن
العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك قال ان
من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول
في ظهره ما قال فالجواب ان فعله كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية
وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه بئس

حديث بريرة

ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حالة ويحترز
منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جايزا بل واجبا في بعض الاحيان
كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى المعضل
الوارد الاصل في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة
ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء
ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليس في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا
ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها من قبل حتى شرطوا ذلك عليها
ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث
ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة
وقال وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال
اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي
صلى الله عليه وسلم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله
اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني لهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم
بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه
فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم
سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله
ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
لياخذ اخاه الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به ويكون فيما فيه ايضا فان يوسف

كان

114

كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من
وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه
بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه
جواب لحل شبهته ولعل قايله ان حسن له التاويل كاينا من كان ظن على صورة
الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا
يلزم ان نقول الانبيا ما لم يثبت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبيا وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء
وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى
وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل
وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون
وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر
والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعا والتضرع منهم وتاكيدا
لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة
لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم وليقتدوا بهم
في الصبر ومحو الهنات اذا صدرت منهم وغفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى
طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا
ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي
قال حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد
عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه ولم يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما

عليه خطيئة كما قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون الآيات الثلاث وعن أبي هريرة
ما يزال البلا بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة
وعن أنس عنه عليه السلام إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد
الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر إذا
أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله
تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمن أنه
قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلا وقد حكي أن ابتلاء
يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نايم محبة له
وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان ولهم
جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار
ولا علم ليعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكا أسفا على يوسف إلى أن سالت
حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته
يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب
وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث في سبب بلاء أيوب أنه
دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا له إلا أيوب فإنه
رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من
بينه في كون الحق في جنبة أصهاره أو العمل بالمعصية في داره ولا علم
عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي عليه السلام قالت عائشة ما رأيت
الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا
قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن لك الأجر مرتين
قال أجل ذلك كذلك وفي حديث أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال والله ما أطيق أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إنا معاشر الأنبيا يضاعف لنا البلا إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن

معشر

كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلا كما تفرحون بالرخاء وعن أنس عنه عليه السلام
إن عظم الأجر مع عظم البلا وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن
سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به أن المسلم يجزى
بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثل هذا عن عائشة وأبي ومجاهد
وقال أبو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية
أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى
الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه
أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة أخرى أودعها الله في
الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى
نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عنهم مؤنة النزع وشدة السكرات
بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاة وأخذه كما يشاهد
من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع يفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية أبي هريرة
من حيث أتتها الريح تكفاها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلا
ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله معناه أن المؤمن
مرزأ مصاب بالبلا والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله مطاع لذلك
لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح
وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث أتتها فإذا أزاح الله عن المؤمن رياح البلاء
فاعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع إلى شكر ربه
ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فإذا كان بهذه السبيل لم
يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم
من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصايب ورقتها وضعفها
بتوالي المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالأرزة
الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه حينه على غرة وأخذه بغتة من غير لطف ولا

رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد
المًا وعذابًا ولعذاب الاخرة اشد كالجحاف الاذرة وكما قال تعالى واخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبًا ومنهم من اخذته الصيحة الاية فيفجا جميعهم
بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف
موت الفجاة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف يريد
موت الفجاة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف
من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه
ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل
من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا المغفور
له ما تقدم وتاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال وحق في بدن
واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل
وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار
عيبته ودعى الى كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او
الله اعلم بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله
المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم
ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا
صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب المحروم
من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة المؤمن واخذة اسف للكافر او
قال الفاجر وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله
فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام
مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد ولا
اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها

ولا

ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افضع امورهم
واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه **القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام
فيمن تنقصه او سبه عليه السلام** قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه
وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال الله
تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الاية وذلك
ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة
يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها
لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من
مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك
فنهوا عن ذلك ومضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل
حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان عليه السلام استجاب لرجل نادى
يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا
يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن
ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها

بيان حكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم

النهي عن التكني بكنيته عليه السلام

وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه
لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم
بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي
باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة ان لا يسم احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه
ابو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه ابا القاسم وروى ان النبي
صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رض وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب
الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله
واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او
نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق
السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا
المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه
او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في
جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا او عيره
بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجايزة
والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وايمة الفتوى من لدن الصحابة
رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من
سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق
وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق
رض ولا تقبل توبته عند هولاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل

نسخة
وقد سمي به النبي صلى الله عليه وسلم
محمد بن طلحة
ومحمد بن ثابت بن قيس ومحمد بن عمرو بن حزم
وقال ما اضطر احدهم ان يكون في
بيته محمد ومحمدان
وثلاثة

الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم
عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقص النبي صلى الله
عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى
هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه
في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء
الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار
بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به
والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه
وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل ومن شك
في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن
القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكى مطرف عن مالك في
كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القسم في
العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او
عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب
وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء
النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي عليه السلام وسخ واراد به عيبه قتل وقال بعض
علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه

الجمال

يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل
وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى
الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون
صفته هي في صفة هذا المار في خلقته ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له
لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما
تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله
العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك
يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ
صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل اد ما عليك
واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال
النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء
مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على
الطيبات لاكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون
بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة
من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له
القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين
ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت
عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع اي من حضر وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال ابن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر حديثا انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله

ابن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه
تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من
عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه
السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة
موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان
قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب
قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم
قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره
برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة
لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك وياتي ما يدل عليه **فصل في الحجة** في ايجاب قتل من سبه او
عابه عليه السلام فمن القرآن لعنة الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله وان اللعن
انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية
وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال تعالى ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي
اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله
ورسوله اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر
والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم

يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد
ابن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن
حيوية قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله
ابن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين
عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا
فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم امر
بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه
من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان
قتله اياه لغير الاشراك وكذلك ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان
بسبه عليه السلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه
من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر بالاسلام قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل
من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر
عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال
الزبير انا فبارزه فقتله الزبير وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير ليقتلاه وروى ابن نافع ان رجلا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا
فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية

امير

١١٦

امير اليمن لابي بكر رضي ان امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها
ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد
الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم
فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم فقتلها فاعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر رضي
فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث
انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة
بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك
كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل الا رجلا سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه
وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد
من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل
على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل
على قتله من جهة النظر ان من سبه او تنقصه فقد ظهرت علامة مرض قلبه
وبرهان سوء طويته وهذا ما قد حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية
الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول

الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا
على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل
استحلاله لذلك فهو كفر فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي
قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا
ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه
حكم الزنديق يقتل لانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان للنبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من
امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي
الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه
لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي
موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في غالب الاحيان
فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم
ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على
خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة
الناس للتاليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله على الدين

كله

كله قتل من قدر عليه من يهود وغيرهم واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد
بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل
سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف
وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك قد نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن
الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية
ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام فصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا
واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان
وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل
رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين
وعلى هذا يحمل امر اليهودي في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف
نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك
قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا
وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يميزوا بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب
كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين
بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم
لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان

للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله
عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه
لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة
في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون الآية
قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان
قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه
الطعن عليه والتهمة وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد
في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر
عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل
المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة الملل وهذا دعاء على سآمة الدين ليس
بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او
غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو
تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه سواء
وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم
يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك
موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد
الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه
ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحرهم وسمه
وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من عينه منهم وانزالهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من

ديارهم

ديارهم واموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت
فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في
شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه
لم ينتقم ممن سبه او آذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما
يكون ما لا ينتقم فيه منها له فيما يتعلق بسوء ادب او معاملة من القول والفعل
بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء
والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي ازاره حتى اثر في عنقه
وكرفع الصوت عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها
خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد
قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما
غيره من الناس فيجوز بفعل مباح مما يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره
واحتج بعموم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه وسلم انها بضعة مني
يؤذيني ما آذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله عند رجل ابدا او ان يكون هذا مما آذاه به
كافر وجاء بعد ذلك الاسلام كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي
الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه
من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف
غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل** تقدم الكلام في قتل
القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا اشكال فيه **الوجه الثاني** لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون
القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه
تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا
يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة
او مداهنة في تبليغ الرسالة او في الحكم بين الناس او نقص من مرتبته او شرف نسبه او
وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر

صح خ
في شيء يؤتى اليه قط صح
عدو الله خ
رجاء خ
قررناه خ

بها عنه عن قصد لبرد خبره او يأتي بسفه من القول او قبيح من الكلام ونوع
من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه
اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون
تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما
ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي
العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في
سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد
لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وساير الحدود لانه ادخله على نفسه لان من
شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما
يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود
ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي
فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة
فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم
وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما
قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله
ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان
كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته
وعلى القول الاخر لا يسقط القتل توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره
بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا تسقط القتل توبته عندنا كما سنبينه وقال ابو حنيفة واصحابه
من برئ من محمد او كذبه فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم

في

مستتر خ

كذبه كذب به خ

في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما
هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين
فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك
قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك
سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على
الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم
نبي يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي
صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة
وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن
ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحدادي قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت
ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي وقال حبيب بن الربيع تبديل صفته ومواضعه
كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة **فصل**
الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي
صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فههنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال
القول وقد اختلف ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال
له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم
او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم
الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه
لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم

احمد خ

بلفظ يلفظ خ

للملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة شتم يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده
الناس غير عمد لاجل قول الآخر له صل على النبي محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه
الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه
ومذهب الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا القتل وتوقف ابو الحسن القابسي
في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود
والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده
هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف
قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد
كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين
وما ترد اليه التاويلات لابد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى عن ابي محمد بن
ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء
وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد
ولعن من جاء به انه ان كان يعرف بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه الادب الوجيع
وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه
من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في
كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من
هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء
ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله
منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد
نضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه ومن نسله وولده
على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالة تقتضي
تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى
ابن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت ذلك عليه قتل وقد كان اختلف

شيخنا

شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال تتهمني فقال له الآخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده
ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد
على تكذيب ما شهد عليه به اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه
وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا
اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال
ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من
يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه
وقد غير عمر بن الخطاب اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل ذلك وذلك انه سمع رجلا
يسب رجلا اسمه محمد ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد
لا ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
ثم هم بتغيير اسماء من تسمى باسماء الملائكة اكراما لهم لذلك فغير اسماء قوم معروفين
ثم ترك ذلك **فصل** الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع
بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق
ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته
ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على قصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل
ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد
اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله وقد صبرت
كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله على من عداه وحلم
على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي • انا في امة تداركها الله • غريب كصالح في ثمود •
ونحو من اشعار المتعجرفين وقول المتساهلين في الكلام كقول المعري • كنت موسى
وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير • على ان آخر البيت شديد عند

لعله الانبياء

تدبيره ودخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله: لولا انقطاع الوحي بعد محمد * قلنا محمد من ابيه بديل * هو مثله في الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل * فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر: واذا ما رفعت راياته * صفقت بين جناحي جبريل * وقول الاخر من اهل العصر: فر من الخلد واستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان * وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي وزيره ابي بكر بن زيدون: كان ابا بكر ابو بكر الرضى * وحسان حسان وانت محمد * الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعرا واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلة فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله: فان يك باقي سحر فرعون فيكم * فان عصى موسى بكف خصيب *

وقال

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه من عسكره من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم: تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان * وقد انكروا عليه ايضا قوله: كيف لا يدنيك من امل * من رسول الله من نفره * لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي عليه السلام عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا

في شاب معروف بالخير وقال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال
الشاب اليس كان النبي اميا فشنع الناس عليه مقالة وكفروه واشفق الشاب
مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ
في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا آية
له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
لكنه اذا استغفر الله وتاب واعترف ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي
الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت
ايضا مسالة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد
ابن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك
وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه
وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل
الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على اربعة اوجه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على
وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه و
التجريح له فهذا ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في
مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب
ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك
ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم ورواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او
فتياه في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه
والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ايمة المسلمين انكاره وبيان
كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين
وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من كانت هذه
سريرته لا يؤمن على القائه ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الايجاب بحق
النبي صلى الله عليه وسلم وبحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام

بحق

بحق النبي عليه السلام وبحق شريعته واجب وحماية عرضه متعين ونصرته
عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض
وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع
السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
ابن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا
يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بها فليشهد وكذلك ان علم ان — خ بشهادته
الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في
الباب فليس التفكه بعرض النبي عليه السلام والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا
آثرا لغير غرض مباح واما الاغراض المتقدمة فتتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار لقولهم
والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه
المتقدمة واجمع السلف والخلف من ايمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة
والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان
كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد وقد صنع احمد
مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية
عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين
ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل
هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله
الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه ولم يكن عادته او لم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان

لفظة من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يواخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القسم ابن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل **الوجه** السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما صبر في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف

معرفتهن

معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال لو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا

شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روحه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره
وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه
في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فنائها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه
كما ذكرناه وعلم منه بذلك فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان
حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول
التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم السلام
في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تاويل
وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه و
وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا
يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى اغراض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها وحملها على ظاهرها شذر
مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر
منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على
معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها
ضعيفة المقاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه
في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن الكتاب — اهل الكتاب
الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه

على

١٢٧

على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها
من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل** ومما يجب على المتكلم فيما يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه وجودة الفدا للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته — ومودة
وفي اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ
وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة
الجهل والكذب والمعصية واذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول
والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة وتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا
تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الامور والنواهي ومواقعة الصغائر — الاوامر
فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء
لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل
هذا بين الناس مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام
اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها
يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا واما ما اورده على جهة
النفي عنه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا
اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في حكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره
وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف
تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم

كان عنه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصايصه كقتل تارك الصلاة واما من
علم انه سبه معتقدا استحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان في نفسه
كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا نقبل توبته
ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد عليه وصمم عليه فهو كافر
بقوله واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا اختلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر
اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله
تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من
الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح والنخعي والثوري
ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي وذهب
طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله
عبد العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن
لا تدرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكى ايضا عن عطا انه ان
كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء
على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق
وقاله عطا وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما
مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها
وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحاق

واستحسنه

واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ
ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد
قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن
القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضه
انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه
قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي
عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاثة
جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام الاستتابة
ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويوتى
من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض
عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف — خ القابسي
بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا
استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى
وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان
الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو
قول الشافعي واحمد وقاله ابن القسم وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب
الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا
ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي
فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم
فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله — بما خ
لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل

وبسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة
السماع منه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه
من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته
مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل
لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي
انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب
المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله
عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل في السجن الطويل
حتى يظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عايق اشكل في القتل لم ينبغي ان يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان
فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيود ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره
يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسالة
اخرى مثلها ولا تراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
او جرحهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه
فكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن
صدقهما وللحاكم في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد **فصل** هذا حكم المسلم
فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه
الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على
هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض
شيوخنا على قتله بقوله تعالى فان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا الاية ويستدل
ايضا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة

على هذا

١٢٦

على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة
فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم
لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان
كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا
ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن
القسم وابن سحنون وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم
فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب
لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم
يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم
بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم يقبل
بعد رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في
كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن
شتم نبينا من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن
القسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم
ولكن ان اسلم فذلك توبته وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن
مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ابن عمر هلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل
الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم
على مثله فاما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله او نحو هذا

استئمنا خ استمنا خ

فيقتل قال ابن القسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا
من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
ففي هذا الادب الوجيع والسجن الطويل واما ان شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل الا الموجع خ
ان يسلم قاله مالك غير مرة فلم يقل يستتاب قال ابن القسم ومحمل قوله عندي ان اسلم
طايعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن
اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية
سحنون عنه من شتم الانبيا من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا
ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله وكذلك لسبه نبينا صلى الله
عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك
في قول قايل كذلك وينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه
من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رض ما ذكره سحنون عن
نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القسم فيمن خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله
ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت
بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته
او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل
ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القسم سالنا
مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة ماله
لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه قال
مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت لا اتكلم فيها بشي ثم رايت انه لا
يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شا قتله ثم حرق جثته
بالنار وان شا احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك
من مصر وذكر مسالة ابن القسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت ان يقتل وان

يضرب

يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق
بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا
الاندلسيين بقتل امراة استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى وتكذيب محمد
في النبوة وبقبول اسلامها ودرا القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله
من مسلم وكافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين
في درا القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق
العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود
الله فاما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي
اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه
هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله

في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلما في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة ... جماعة
المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزندقة وقال اصبغ
ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا
به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو
منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته
والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شي وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وساير احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب
وتمادى عليه وابى التوبة فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل
ولا يصلى عليه ولا يكفن ولتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ
ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب
ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى
على قوله ومثله لابن القسم في العتبية وجماعة من اصحاب مالك في كتاب

ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله وقال ابن القسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته
من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه
وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابى زيد وانما يختلف
فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة فلا تقبل منه واما المتمادى فلا
خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم تاب ولم يعدل عليه
بينة او لم يقتل يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القسم فى كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان
ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته
وربيعة والشافعى وابو ثور وابن ابى ليلى واختلف فيه عن احمد وقال على
ابن ابى طالب رض وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم
والاوزاعى والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك
فيما اكتسبه قبل ارتداده وما اكتسبه فى الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابى الحسن
فى جواب حسن بيّن وهو على راى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على
قول مالك فى ميراث الزنديق فمن ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بينة
بذلك فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام باظهاره بانكاره او توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع
عنه فى العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال
به ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم فى العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه وتاب فقتل فلا يورث وان لم
يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القسم بن الكاتب عن نصرانى يسب النبى صلى الله عليه وسلم فيقتل هل
يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد وهذا معنى قوله واختصاره

الباب الثالث فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل

النبى صلى الله عليه وسلم

وصحبه ٢ خ

افتراء ٢ خ

النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه واصحابه لا خلاف ان من سب الله تعالى من المسلمين
كافر حلال الدم واختلف فى استتابته فقال ابن القسم فى المبسوط وفى كتاب
ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب
الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افترى على الله بارتداده
الى دين دان به فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال فى المبسوطة
مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل
المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك كالردة وهو الذى حكاه القاضى ابن نصر عن
المذهب وافتى ابو محمد بن ابى زيد فيما حكى عنه فى رجل لعن رجلا ولعن الله فقال
انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى فقال يقتل بظاهر كفره ولا
يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
فى مسئلة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر
كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله
من مرض لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله
فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى
وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم
ابن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه الا ان
القاضى راى عليه التثقيل فى الحبس والشدة فى الادب لاحتمال كلامه وصرفه
الى التشكى فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محض
لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار
الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته
انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم
ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا احد فحكم له بحكم الزنديق
ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد علم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك به وحكم هذا
حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه

على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصول **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى
ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل
والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة
او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا
فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم
فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في
عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم ويستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون
في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز
وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال
عيسى عن ابن القسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن فارق
الجماعة من اهل الاهواء والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك — خالف
او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القسم — البدع
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما
انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال
وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن
القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب
وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة
وقد روي ايضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلف
الروايات عن مالك واطلق في روايات الشاميين ابي مسهر ومروان
ابن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وقد روي عنه ايضا اهل الاهواء
كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من
جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه شبه الله بنفسه وقال

فيمن

فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع
ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال
القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ايمة العراقيين وجوابه — المتنصر
مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة الصلاة
خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم
وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج
والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد بن حنبل — الواقفية
وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول
الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب رض وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء
النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن
عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال
اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا
والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم
يقتل وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في
امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظم على الدين وقد يدخل في
امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة **فصل** في تحقيق القول في اكفار المتأولين
وقد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه
مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء
والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم
ير اخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة
ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى
خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم
يخرجه من الاسلام واضطرب اخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير او ضده واختلاف

قول مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي
ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى
قال في بعض كلامه انهم على رأى من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة
على ميتهم وورثتهم من المسلمين ولا يورثونهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة
واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط
فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين
خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد
قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع
ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة
للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة
بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من
يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير
الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في
الربا وعقوق الوالدين والزوج والزور وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على
احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل
عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول
له الاخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث نفسه يقتلون
اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحل المقتول وليس كل من

قتيل خ

حكم

٢٣٣

حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال
لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر
ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية
ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم ويدل
على انه لم يتعلق من الاسلام بشئ اجابه الاخر ان معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم
بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكيك في حاله وان احتجوا بقول
ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه
الامة ولم يقل من هذه وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخر بان العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم
من الامة مع انه قد روى عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث يخرج من
امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم
فيها بمن لكن ابا سعيد رض اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه
الصحابة رض وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم
في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات
كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر
احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله تعالى بخلقه
وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله
فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله
فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو
مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول
الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه
على ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف في
تكفيره وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني
وقال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ الوسع

وطلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا من
العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحى الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق
دين الاسلام او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع
على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب او الشك فيه
لا يقع الا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه
وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة
احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من
الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله
من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك
القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض
وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم وانه
محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء
او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او
مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبايعيين
وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول
بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او
قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها فيها
بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من
اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم
بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية

المسلمين ح

انواع اهل البدع الكافرة

صح

١٣٤

من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية
من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان
بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء
زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما
خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم
ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك
من اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال
انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى عليهم او آذاهم او قتل نبيا او حاربه
فهو كافر بالاجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من
الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس
بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة
نبينا عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز
او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى
نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص
رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة
علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم او بعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه
في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان
واشباه هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء
القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى
اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق

اشركوا ح

كالخرمية

الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه خاتم النبيين ولا
نبي بعده واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل الى الناس كافة واجمعت الامة على حمل
هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في
كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا واجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من
دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام
من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده
واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع
بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية
من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه كفرة على زعمهم ولهذا والله اعلم
اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى
الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رض وهو يعلم انه يكفر بعده على
قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله لذلك الفعل كالسجود للصنم
او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزي بزيهم من شد
الزنانير وفحص الرؤوس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال
علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة
من القرامطة وبعض علاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة
من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع
الاجماع المتصل عليه كمن انكر الخمس صلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول
انما اوجب الله علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد

وكذلك

وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير
الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء
رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا
صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع
عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها
ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا
فهذا ومثله لا مرية في تكفيره وان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين
وامتدت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان
تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلم تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك
البقعة هي مكة والبيت الذي هو فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول
صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات
الصلوات المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك والمنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري
وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك
واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة على جميع
الشريعة اذ هم ناقلوها وناقلو القرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا
كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه
حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه

في جميع

به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات
العقول او يكون قد ذكره على ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى
عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة
وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى
وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول
عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في ساير الصفات على مذهب المعتزلة فمن
قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم
اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا ساير فرق
اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم يؤاخذ بمآل قولهم ولا الزمهم موجب
مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل
واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك فالصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وساير معاملاتهم لكنهم يغلظ
عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر
الاول فيهم فقد كان نشأ في زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من
القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب
كباير عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق
للصواب قال القاضي ابو بكر رحمه الله واما مسايل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال
وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقايق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس في
الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمناه

في

في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا
حكم المسلم الساب لله تعالى فاما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رض في ذمي تناول من حرمة الله تعالى
غير ما عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر رض بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القسم الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ
لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما
غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القسم في كتاب محمد ومن شتم
من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب
والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير
الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن
لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به الله تعالى
والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين من سب الله تعالى او سب نبيه صلى الله عليه وسلم
لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا
شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف
وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل
لانه دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره **فصل**
هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او نافي ان يكون الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل ذلك
ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه
من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته
بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه

ولا يقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه
قاله من ذلك في غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه كما يؤدب على
قبائح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق
حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له الالهية وقتل عبد الملك بن مروان
الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء
وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر
من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية والقول
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك
حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا ايام الراضي بالله
وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من
تنبأ قتل وقال ابو حنيفة رح واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي
رب فهو مرتد وقال ابن القسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب
اسر ذلك او اعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي تنبأ
وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال ابو محمد بن
ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره
ولا يقبل عذره وهذا على القول الاخر في انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في
سكران قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لان هذا كفر المتلاعبين **فصل** واما من تكلم بكلام من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة
مولاه او تمثل في بعض الاشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق بما
لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد فان تكرر هذا
منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم
عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف

خ غراقب خ غراقيد

بابن

بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض
الفقهاء بها ابو زيد صاحب الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد
توقفوا عن سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب
وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي ايشتم رب
عبدناه ثم لا ننتصر له انا اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى
الامير بها عبد الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم
باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله
فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ
بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم
يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القسم عن رجل نادى
رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك فقال ان كان جاهلا او قاله على وجه سفه فلا
شيء عليه قال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه
يؤدب ولو قالها على اعتقاد انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سفهاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا
من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا ان قصدنا نص مسائل
حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا فيما حكيناه في هذه الفصول واما
ما ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب العباد
ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا ابا لكا في اشباه لهذا
من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر
الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي
وهذا تهور من القول والله منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله
انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به
كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل
بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما

١٣٧

لاسيما لله تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا المنتصر ان ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء
يتمثلون بالله عز وجل وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب سب النبي صلى الله عليه
وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله تعالى **فصل** وحكم من سب سائر انبياء
الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا
صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله الاية
وقال الله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصهم
قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القسم من
سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم
الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب
الله وملائكته او انبياءه قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل
وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي
طالب استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه
على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال
ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك
قتل قال القاضي ابو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين
او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه او
حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل وميكائيل
وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين والحفظة ومنكر ونكير من
الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما ما لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع
على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمن وذي القرنين
ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي يدعي

يتمندلون خ
او تنقص خ
ومالك وخزنة خ

المجوس

المجوس والمؤرخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما من عرفت
صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة
فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل
العلم فكيف للعامة **فصل** واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء منه او سبهما او
جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من
حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية
حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد حدثنا ابو علي حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن
عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تاول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل
ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها
او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع اقطار
الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل
اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق
وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا
رأى مالك قتل من سب عائشة رض بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل لانه
كذب بما فيه وقال ابن القسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي
وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك
ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم موسى وشهد آخر عليه انه قال ان الله لم يتخذ ابرهيم
خليلا قتل لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من
ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده

شاهد عدل خ

رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال اراه سمع انه
من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وعن عبد الله بن مسعود من كفر باية من القرآن فقد كفر به
كله فقتل وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن
كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الاخر لعن
الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه سئل عن القضية فقال انما لعنت توراة
اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التأويل
اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التوراة مجردا لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقري احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من
الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك
على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن
افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابن زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد
واما من لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه واصحابه وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل
قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عبيدة بن ابي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن
احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا
عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي

فمن

٢٣٩

فمن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها
بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك
في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه
وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص رضي الله عنهم فان
قال كانوا على ضلال او كفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال
سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى
محمد ابن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم انهم كانوا
على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد
وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها
قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى
يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر
وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في
القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه بنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون الى عائشة رضي الله عنها
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في
تنزيهها من السوء كما سبح نفسه في تنزيهه من السوء وهذا يشهد لقول مالك
في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله سبحانه وتعالى
لما عظم سبها كما عظم سبه فكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب
نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان موذي نبيه صلى الله
عليه وسلم كذلك كما قدمناه وشتم عائشة كرمها الله رجل بالكوفة فقدم الى موسى
ابن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق

راسه واسلمه للحجا [illegible] وروى [illegible]
[illegible] تعالى عونا [illegible]
[illegible] وروى [illegible]
رضي [illegible] وه وان [illegible]
من انتقص [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عدهم [illegible]
[illegible] فلا [illegible]
[illegible] اغفر لنا ولاخواننا [illegible]
[illegible] المسلمين وفي [illegible]
[illegible]
[illegible] فاجلدوه قال
[illegible] لغويه لانه سبه فان كان احد [illegible]
[illegible] فمن قام به من المسلمين كان [illegible]
[illegible] وفي غير الصحابة رضي الله عنهم حرمه دهولا
[illegible] سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به
[illegible] غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] قولان
احدها انه يقتل لانه [illegible] عليه وسلم [illegible] باكثر
الصحابة يجلد [illegible] قال وبالاول اقول وروى [illegible]
[illegible] الى [illegible] عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس حبسا
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي
فقيه [illegible] لو كانت بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنها ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف
ذكر هذا لابنة ابي بكر رضي الله عنهما في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق فيتقدم اليه في ذلك
ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله عز
وجل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما

حررناه

١٤١

حررناه وانجز الوعد الغرض الذي انتحيناه واستوفى الشرط الذي
شرطناه مما ارجوان في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى
بغيته ومنزع وقد اسفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع
وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي
الكلام فيه او مقتدي يفيدنيه عن كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه
عما اروّيه والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه
لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب
لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضايله واعملنا
فيه خواطرنا من ابراز خصايصه ووسايله ويحمي اعراضنا
عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد
المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه سببا يصلنا
باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز
بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا وجماعته
ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته
ونحمد الله تعالى على ما هدانا اليه من جمعه والهم وفتح
البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم
ونستعيذه جل اسمه من دعا لا يسمع وعمل لا يرفع
فهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر
من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو
حسبنا ونعم الوكيل انتهى
على يد اضعف عباده
حسن بن علي بن حبيب
اللطفي

وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة
وعلى آله وصحبه وسلم [illegible]
السبت سلخ ذي الحجة [illegible]
ببيت المقدس [illegible] الخليلي
العالم النحرير [illegible] محمد
رحمه الله